لعنة رامون

رواية

اسم الكتاب: لعنة رامون
اسم المؤلف: أشهب عطية
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 154
سنة الإصدار: 2025
رقم الإيداع: 4296 /2025
الترقيم الدولي: 2 – 149 – 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
تصميم غلاف: هبة نصري
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

لعنة رامون

رواية

أشهب عطية

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
ديوان العرب
حقوق حلمك

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

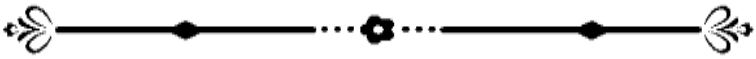

إهداء

إلى القراء الأعزاء

أهدي إليكم رواية

لعنة رامون...

تتعمق في عالمها وتكتشف أسرارها

أشهب عطية

****

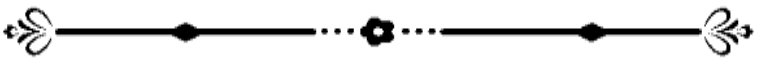

تنبيه هام

"جميع الأحداث والأسماء والشخصيات والمعلومات التي تم ذكرها في الرواية هي من وحي خيال المؤلف، ولا تعد كمرجع تاريخي أو علمي حتى لو تصادف تطابق بعض المعلومات الواردة بالرواية مع معلومات مثبتة علمياً لإثارة عقل القارئ وتفاعله مع محتواها"

الفصل الأول

الموت يقرع الأبواب

"ما يعطيه الشيطان لك اليوم بيد، يأخذ أضعافه غداً بألف يد"
(بردية الموتى / الكاهن الأعظم)

مصر ١٢٢٥ قبل الميلاد:

وقف الملك العظيم زوسر الخامس في صباح أحد الأيام في شرفة بهو قصره الكبير متأملاً المشهد الخلاب الممتد أمامه.

ذلك الحاكم المحبوب معشوق جموع الشعب المصري الذي يثق به ويهتف باسمه في كل مناسبة متغنياً بحكمته وعدالته وإنجازاته الكثيرة. وكيف لا يشعر الشعب المصري بالفخر بمثل هذا الرجل القويّ، خيرة من أنجبت البلاد في عصره، فلا يستطيع أحد أن ينكر الحضارة العظيمة التي بُنيت على يديه في جميع أنحاء البلاد التي أحدثت طفرة في معيشتهم لا سيما الرخاء الذي حققه للمصريين في عهده، فحدث عنه ولا حرج، حيث لم يسبق لهم أن عاشوا مثله من قبل في أي عصر مضى.

أما بالنسبة للجانب العسكري، فهو القائد المحنك الذي يهابه جميع الأعداء ويعدون له ألف حساب وحساب، ويضطرب ملوك عصره بمجرد ذكر اسمه بعد أن ذاع صيت غزواته ضد المنافسين من دول الجوار

وفتوحاته الكبيرة التي وصلت إلى حدود الدولة الآشورية في العراق وحدود الدولة الفينيقية في الشام والتي تعتبر خير دليل على شجاعته وقوته كقائدٍ حربيّ من الطراز الفريد، يتحاكى الناس ببطولاته في المعارك وإقدامه على الموت بلا تردد حتى أضافوا لها المزيد والمزيد من التفاصيل، وأصبحت أساطير تدوّن على جدران المعابد. نراه وقد انغمس في بحرٍ من عالم الذكريات التي لا يعلمها إلا هو ربما إنّه الآن يتذكر مراحل حياته الصعبة على الرغم من كونه سليل العائلة الملكية منذ ولادته مروراً بمرحلة الطفولة الجميلة، حيث نشأ بين جنبات القصر الملكي طفلاً صغيراً بريئاً، قمة سعادته عندما يلعب مع أقرانه وأكبر تحدياته الفوز في سباق الجري ضدهم، وأقصى طموح له أن تتفرغ له والدته ليلاً لتقصّ عليه بعضاً من حكاياتها الشيقة الحقيقة تارة والأسطورية تارة أخرى عن حروب وبطولات والده وأجداده الذين انتصروا فيها على الأعداء نصراً ساحقاً، لتربي فيه منذ نعومة أظفاره دون أن يشعر الشجاعة والإقدام في ميادين الحرب وأن تبني عنده الرغبة لاستكمال مسيرة والده المشرفة، ثم تنتقل ذاكرته إلى مرحلة أخرى عندما أصبح فتىً مراهقاً يتلقي دروسه في علوم الدين والفلك والروحانيات على يد الكاهن الأعظم، ومواعظ وفلسفة الحياة وكيفية التعامل مع أطياف الشعب على يد حكيم القصر حور حابي، وفن القيادة العسكرية وإدارة شؤون الدولة على يد قائد الجيوش ورئيس الوزراء في الوقت نفسه القائد كازان، ولا ينكر أنّ القسوة التي اتبعها

أساتذته معه أفادته كثيراً كي يتعلم بسرعة وتتحول شخصيته تحولاً جذرياً في نظرته للحياة ويصبح على ما هوعليه الآن، لكنّ الحدث الأكبر والأصعب على نفسه يوم وفاة والده الملك سحوت الأول بشكلٍ مفاجئٍ دون مقدمات وتقلده الملك وهو لم يتجاوز بعد العشرين من عمره وكيف حاول بعض المتآمرين استغلال حداثة سن وخبرة الملك الجديد للانقلاب على الحكم، وقتله شخصياً لولا وقوف أمه ست رع والكاهن الأعظم بجانبه بالإضافة إلى قائد الجيش كازان الذي أحبط محاولة قتل الملك وكان منتبهاً إلى المكيدة التي تعد له.

ولا ينسى الملك المشهد القاسي يوم أمر كازان أن تقطع رؤوس كل من شارك في هذه المؤامرة من قريب أو بعيد حتى وصل عدد من تم إعدامهم إلى أربعمائة شخص، وسالت دماؤهم كالنهر في الطرقات على مرأى ومسمع من الجميع حتى يصبحوا عبرة وعظة لغيرهم ممن تسول له نفسه التفكير في الاستيلاء على الحكم ظناً بأنّ الملك الصغير سيكون لقمة سائغة لهم، وكيف أنّه ضرب بيدٍ قويةٍ من حديد لحفظ أمن واستقرار البلاد.

وعندما استتبّت الأمور وخضعت له جميع الأقاليم بدأ في تنفيذ أولى خطوات تحقيق حلمه ببناء حضارة عظيمة لبلد قويّ غنيّ قادر على التوسع لفرض سيطرته على من حوله من البلدان الطامعة ولا يعطي الفرصة لأحد من حكامها أن يبادر بشن هجوم على مملكته التي أصبحت تحت حكم شاب قليل الخبرة في الإدارة والحروب كما كان يظنّ الأعداء، لكنّه في وقتٍ

قصيرٍ أثبت للجميع عكس ذلك، وأنّ جينات المحارب تسري في دمائه وعروقه منذ أن كان جنيناً في بطن أمه.

لكنّه اليوم يبدو على غير طبيعته الشامخة الواثقة المسيطرة، حيث يبدو جلياً للأعمى أنّ الهمَّ والحزن قد بلغا منه مبلغاً كبيراً فها هو يتأمل المشهد من شرفة قصره في عمقٍ بعيون زائغة حائرة مرهقة لم تذق النوم لأيام متواصلة يلقي على العالم حوله نظرة تبدو وكأنّها نظرة الوداع الأخير لمن يستعرض شريط حياته قبل خروج الرّوح منها، يتابع أشعة الشمس الذهبية وهي تسقط على مياه نهر النيل فتجعل سطحه يبدو كأنّه صفحات مترقرقة من الفضة الخلابة، واكتست ضفتا النهر على امتدادهما بثوبٍ أخضر زاهٍ من أشجار الفاكهة المتنوعة وحقول الذرة والقمح.

وتابع الملك وجوه الفلاحين تعلوها ابتسامة هادئة أثناء عملهم في الحقول وهم يشدون من عزم بعضهم البعض للاجتهاد في العمل وحرث الأرض يرددون الأهازيج والأغاني التي تحفزهم أكثر وأكثر، آملاً أن يخرج المحصول وفيراً هذا العام فيرى أحد الفلاحين وهو يعزف بآلة الناي بينما مجموعة أخرى من الفلاحين يقومون بحصاد الذرة، وبجانبهم مجموعة أخرى يغنون وبالقرب منهم النساء وهم يعصرون العنب منهم فتاتان تغنيان وترقصان، ولا يقل الصيادون عنهم حماسة في إنشاد الأغاني وهم في مراكبهم يلقون شباكهم في مياه النيل أملاً بامتلائها بالأسماك في نهاية اليوم.

سأل الملك نفسه في مرارة: هل كلّ ما يراه الآن من سعادة تظهر جلياً على أحوال أبناء شعبه ستنتهي، وتختفي الابتسامة من على وجوههم، ويحلّ محلها الشقاء والذل والخراب؟ هل سيحفر اسمه على المعابد كونه الملك المتكبر الذي انقلب غروره عليه وجعله بدلاً من أن يحافظ على ملك أبيه ويتوسع فيه أضاع هذا الملك من بين يديه وكتب الهوان والذل والاحتلال على أرضه العزيزة الأبية مصر، كيف سيغفر له الناس ذلك، بل كيف سيغفر هو لنفسه هذه المصيبة الكبرى؟

قطع هذه التأملات والأسئلة الكثيرة صوت قائد الجيش كازان الذي كان يقف بجواره في الشرفة قائلاً:

- ألا ترتاح قليلاً يا سيدي؟ إنّك لم تذق طعم النوم منذ أيام، وساءت صحتك وفقدت الكثير من وزنك! وإذا استمررت على هذه الحالة فسيحدث لك مكروه وستهلك نفسك، دع لي وحدي مسؤولية الإشراف على تدريب وتجهيز الجنود وتحفيزهم خاصة أنهم بدؤوا في الشكوى والضجر من ضغط الإرهاق والإنهاك؛ بسبب الاستعدادات الشاقة التي لا تنتهي وبعدهم عن أهاليهم وذويهم لمدة طويلة، وعلى الرغم من شدتهم وصلابتهم وأنهم على استعداد للتضحية بأرواحهم دون تردد من أجل الملك ومن أجل رمال مصر العزيزة بكلّ ما يملكونه إلا أنّهم لا يعرفون ما سبب كل هذا المجهود والتدريبات المستمرة المبالغ فيها.

- قال الملك: وكيف تريد مني يا كازان أن أرتاح ونحن على أبواب هجوم كاسح من الآشوريين والفينيقيين معاً! بعد اتحادهم ضدنا وإدراكهم خطورة قواتنا عليهم وأنهم لا محالة أصبحوا الهدف التالي لنا بعد توسعنا شرقاً، حتى حدود دولتهم لقد كان قرار إرسال جلّ قوات جيوشنا إلى الجنوب لغزو بلاد النوبة قراراً خاطئاً تماماً، فلقد استغل الآشوريون والفينيقيون هذا بعد أن علموا بطريقةٍ ما من أحد الجواسيس هذه المعلومة السرية الخطيرة، وأنا أتعجب من سرعة معرفتهم بهذا الخبر مبكراً جدّاً، وتحرك قواتهم قبل حتى تحرك قوات جيوشنا إلى الجنوب بعدة أيام للزحف علينا.

وكأنّهم كانوا يقرؤون أفكارنا ونحن نخطط ونتناقش لإرسال حملة للتوسع في بلاد النوبة قبل شهر من الآن.

- قال كازان: أنا أعترف أمامك يا مولاي أنّها كانت فكرة غير سديدة، وأنّها فكرتي أنا وعلى الرغم من معارضتك الشديدة لها وموافقتك على مضض بعد إلحاح كبير مني ظهر أنّك كنت على حق وذو نظرة بعيدة سديدة للأحداث لحكمتك وخبرتك الكبيرة ووزنك الصحيح لدقائق الأمور عندما رفضتها في أول الأمر، ولكن أشهد الله أنّني وقتها كان كل ما يهمني هو مصلحة الدولة فلقد رأيت الجيش النوبي في أضعف حالاته، ونحن نحتاج إلى الذهب والمعادن والصخور الغنية بها أرض النوبة لإكمال مشاريع الدولة الحضارية وأنّ هذه الفرصة المناسبة التي لن تتكرر لغزوهم الآن قبل أن يستجمعوا قوتهم ويبدؤوا هم بغزونا، لكنّني لم أضع في حساباتي الخطر

القادم من الشرق، ولم يخطر ببالي مطلقاً فكرة اتحاد القوتين المتحاربتين على مدى التاريخ الآشوريين والفينيقيين، لقد كان هذا بالنسبة لي ضرباً من الخيال، لكن يبدو أنّني قد أسأت التقدير، لذا أطلب منك يا مولاي أن تأمر الجنود بقطع رقبتي جزاءً لما حدث من خطأ وتقصير مني.

- قال الملك في حزم: ماذا تقول يا كازان! هل تريد مني قطع رأس قائد جيشي ونحن في هذه الظروف القاسية التي لم تمر بها البلاد من قبل؟ ولو فعلت هذا سيحبط من روح الجنود وهم يشاهدون قائدهم يفعل به ذلك قبل المعركة مباشرة ولن يفيدني بشيء، ثمّ أنا أعتبر نفسي المسؤول الأول والأخير عن أي قرار طالما تم بموافقتي في النهاية حتى لو كانت موافقتي بعد اعتراض وممانعة.

ولا أخفيك أنّني قد أرسلت للأعداء أطلب منهم هدنة طويلة مقابل إرسال نصف ثمار البلاد وخيراتها إليهم كلّ عام، لكنّهم رفضوا، ثمّ أرسلت إليهم بالأمس عرضاً آخر أن أسلم لهم البلاد ويرسلوا فرداً منهم لحكمها بدلاً مني، وأن أستسلم لهم ويأخذوني كأسيرٍ بشرط ألّا يدخلوا بجيوشهم ويقتلوا المصريين أو يأخذوهم عبيداً عندهم أو يمسوا باقي الأسرة الحاكمة بسوء أو يخربوا في البلاد، فلا ذنب لهذا الشعب الطيب بأخطائي.

فلمَ يدفع الأطفال والنساء والشيوخ والمسالمون أرواحهم وحريتهم ويتم إذلالهم ثمناً لأخطاء لا ذنب لهم بها بسببي؟

- قال كازان: ماذا تقول يا مولاي! لمَ فعلت ذلك؟

فداك روحي وأهلي جميعاً، لن يحدث ذلك أبداً أعاهدك أن نحاربهم وندافع عنك وعن بلادنا أنا وجنودي حتى آخر رمق فينا، إنّهم لن يمسوا شعرة من إنسان مصري أو حبة رمل من أرض بلادنا الحبيبة. ولقد أرسلت منذ ثلاثة أيام للجيش في النوبة برسالة مع أحد الجنود في الخفاء تأمرهم بالعودة فوراً إلى البلاد ليساعدونا في صدّ الهجوم الوحشيّ علينا، وأنا واثق أنّه عند عودتهم سيسحقون جيوش الآشوريين والفينيقيين مجتمعين خلال ساعات قليلة من الزمن.

- قال الملك: ولكن أعيننا على الحدود لم ترَ حتى الآن طلائع الجنود العائدة من النوبة، وكأنّهم لم تصلهم الرسالة والأعداء يقتربون شيئاً فشيئاً، ومتوقع وصولهم إلى العاصمة خلال خمسة أيام وبدء الهجوم علينا خلال أسبوع بعد ترتيب تمركز قواتهم إلى جبهات تحاصر حاميتنا قليلة العدد المدافعة عن العاصمة.

- قال كازان: لا تقلق يا مولاي وتفاءل، سيعود جيشنا قبل وصول جيش الأعداء وسيهزمونهم شر هزيمة.

- قال الملك: أنا أدعو في كلّ لحظة من كلّ قلبي بذلك، وأجلس بالساعات في المعبد أصلي لوصولهم قبل فوات الأوان، ولكنْ هناك أمر هام يا كازان، لا تخبر أحداً بالخطر الكبير الذي نواجهه؛ فلا أريد أن يتسرب الخبر إلى الشعب، دعوهم يديرون أمور حياتهم كالمعتاد حتى لا ينتشر الفزع والخوف والهرج بينهم، ولا تخبر حتى الجنود عن سبب استعداداتهم

وتدريباتهم الشاقة حتى نرى رد الأعداء على عرضي الأخير، رغم أنّني على أمل أن يعود الجيش من النوبة قبل حدوث الكارثة.

- قال كازان: لم يكن من الضروري أبداً أن ترسل لهم عرض الاستسلام المهين هذا يا مولاي!

- قال الملك: هل تعلم ما أفكر به يا كازان؟ لدي إحساس أنّ الأعداء سيرفضون هذا العرض أيضاً؛ لأنّني متأكد أنّ هناك خائناً نشطاً بيننا يرسل لهم أخبار البلاد أولاً بأول، ويعرفون حالة الخوف والضعف التي نحن فيها، مما يجعلهم يتجرؤون ولا يبالون بأي عرض أرسله لهم ويصممون على الهجوم الكاسح ضدنا، ويحصلون على ما يريدون وأكثر بدون الموافقة على أي صفقة، لأنّهم في موقف القوة، وكما تعلم إنّهم وحوش بشرية لا تهوى سوى سفك الدماء والقتل فهذه قمة متعتهم للانتقام منا ليصنعوا لأنفسهم أسطورة مزيفة ليهابهم الجميع ويذيع صيتهم بأنّهم الجيش الذي حطّم كبرياء الحضارة المصرية العظيمة، وأخضعها تحت سلطانه.

شعر كازان بالاضطراب ودخل في تفكير عميق فيما قاله الملك، لكن لم يجد ما يرد به عليه؛ فسكت وهو يطرق برأسه إلى الأرض، ثمّ انصرف بعد أن استأذنه ليتابع مهمته في تدريب وتجهيز الجنود، وقابل نائبه قائد الفيلق الشمالي، وسأله:

- ما حال الجنود اليوم؟

- قال قائد الفيلق: اطمئن يا سيدي، لن تجد من هو أشد بأساً واستعداداً منهم، إنهم أسياد الحروب وأسودها، انظر إليهم بنفسك.

- نظر كازان إليهم نظرة متفحصة، وقال: إنّ هؤلاء حقاً أبطال صناديد، ولم يخذلني أحد منهم من قبل في أي معركة، لكنّ عددهم قليل لا يتجاوز الألفي جندي، وعدد العجلات الحربية لا يتجاوز المئتي عجلة حربية، والخيول خمسمائة خيل، وتقديرات جواسيسنا في الشمال أنّ قوات الآشوريين والفينيقيين تتجاوز الخمسين ألف جندي ومحارب، وعدد العجلات الحربية يتجاوز الخمسة آلاف عجلة حربية، والخيل عشرة آلاف خيل، بمعنى سيكون كل رجل منا في مقابل خمسة وعشرين منهم، وعجلة حربية منا في مقابل خمسة وعشرين عجلة حربية منهم، وخيل منا مقابل عشرين خيل منهم، إذا وقعت هذه المعركة.

ثمّ أطرق برأسه إلى الأرض في أسى وقال بصوت غير مسموع: إنّه الهلاك والموت لا محالة، سيفنى ما معنا من جنود وخيول وعربات حربية عن بكرة أبيهم، لا أمل في النصر للملك زوسر إلا بعودة الجيش سريعاً إلى العاصمة ليدعمنا في المعركة الطاحنة.

بعد مرور ثلاثة أيام أرسل الملك زوسر إلى قائد الجيش كازان أن يأتيه حالاً إلى القصر.

دخل كازان مسرعاً إلى عرش الملك قائلاً في إجلال شديد:

- وزيركم المخلص كازان تحت أمر مولاي المفدى.

- قال الملك: لقد وصلتني معلومة مهمة جدّاً، أنّ قوات جيشنا في النوبة لم تصلهم الرسالة التي تأمرهم بالعودة إلى العاصمة فوراً.

- قال كازان مفزوعاً: كيف هذا يا مولاي؟ لقد أرسلت إليهم منذ أكثر من ثمانية أيام!

- قال الملك: لا أعلم، لكن أعيننا هناك على الحدود ذهبوا إلى قائد الجيش في النوبة ليستعلموا عن سبب تأخر القوات في العودة حتى الآن، فتلقوا الصدمة الكبيرة، حيث وجدوا قائد الجيش يهب واقفاً من الاندهاش، وأخبرهم أنّه لا يعلم شيئاً عن هذا الأمر تماماً، وأمر الجنود في الحال في غضب شديد بالاستعداد للعودة بأسرع ما يمكن.

- قال كازان في أسى: لا بدّ أنّ الجاسوس علم بالأمر وقتل الرسول الذي بعثته إلى قائد جيشنا في النوبة منذ عشرة أيام قبل إيصاله الرسالة.

- قال الملك في غضب: لقد وصلت لأقصى درجات الضيق والضجر من هذا الجاسوس كيف اخترق حراستنا واستمع إلى حديثنا وأرسل المعلومات إلى الأعداء بهذه السرعة؟ بل وقتل رسولنا إلى النوبة بدون أن يكتشفه أحد حتى الآن! لو كانت هذه آخر لحظة في حياتي فلا بد أن أعرف من يكون هذا الجاسوس وأقتله وأقطع رأسه بيدي أنا شخصياً قبل أن أموت.

ثمّ صرخ الملك في غضب وقال: يا كازان إنّ مهمتك الرئيسة من الآن فصاعداً أن تجد هذا الجاسوس وتعرف من هو، أما أنا فسأتولى الإشراف على الجنود وأعلمهم غداً بالموقف العصيب الذي نواجهه، فلا يوجد أي أمل

الآن أن يصل الجيش من النوبة قبل وصول جيش الأعداء الذي رفض قائدهم كما توقعت عرضي بالاستسلام لهم.

هل ستقبل هذه المهمة يا كازان؟

إن كنت تريد أن أعفيك الآن وفوراً من جميع مهامك، وأن تنجو بحياتك وتترك البلاد أنت وأسرتك، فلا مانع عندي لقد خدمتنا على مدى العشر سنوات الماضية بإخلاص، ولا أريد أن تكون مكافأة نهاية خدمتك عندي أن تموت بسيوف الأعداء، وأن ياخذوا أفراد أسرتك عبيداً لديهم.

- قال كازان في حزم وقوة: لا يا مولاي أنّ دمائي ستكون أول دماء تهرق على رمال البلاد فداءً لهذا البلد العظيم أنّ دمائي وأموالي وأهلي كلهم رهن إشارة الوطن، وشرف لي أن أضحي بهم من أجله ومن أجلك بلا تردد.

- ابتسم الملك وقال في لطف لكازان: هذا ما توقعته منك.

كان الملك زوسر يحاول على قدر الإمكان التظاهر بالتماسك والقوة والهدوء المشهور بهم طوال حياته أمام حاشيته. وعلى الرغم من كثرة المعارك والشدائد والمواقف الصعبة التي خاضها، لكن هذا الموقف بلا شك هو الأصعب عليه على الإطلاق.

فبعد أيام سيأتي زائر ثقيل الظلّ غير مرحب به، وهو الخراب والموت، فالغزاة قاسية قلوبهم لا يعرفون الرحمة، وسيقومون بهدم هذه الحضارة العظيمة ويدمرون المعابد والبيوت لتصبح ركاماً فوق رؤوس أصحابها، ويقتلون أولاد هذا الشعب الطيب العظيم شرّ قتلة ويتخذونهم عبيداً

عندهم، هذا الشعب الذي تربى على العزة والكبرياء طوال تاريخه العريق، إنّها حقاً ستكون الفاجعة والطامة الكبرى.

وقبل موعد الغزو بيومين أصبح كازان لا مهمة له سوى البحث عن الجاسوس الخائن، مما أتاح له وقت فراغ كبير بعد أن أعفاه الملك من مسؤوليات الإشراف على قيادة الجيش وتجهيزاته، ولكنّه بدلاً من القيام بذلك جذبه الفضول ليذهب لمراقبة الملك من بعيد ليعرف أحواله، فقد كان متأكداً في قرارة نفسه أنّه لن ينجح في الإمساك بالجاسوس الخائن في هذا الوقت القصير المتاح قبل المعركة.

وكاد كازان يقسم أنّه شاهد الملك متوجهاً إلى المعبد بعينين دامعتين وحالته أسوأ مما كانت عليه بكثير.

وبعد دخوله المعبد بفترة قليلة وجد جميع الكهنة، وقد خرجوا منه لا بد أنه هو من طلب ذلك منهم، وبعد خروج آخر كاهن بفترة بسيطة سمع صوت نحيب شديد والمعبد يهتز وكأنّ جدرانه تبكي هي أيضاً مع الملك.

لا شك أنّ الملك وصل إلى مرحلة من اليأس والتيقن في الهزيمة جعلته يبكي منفرداً كطفل صغير.

ولمح كازان من بعيد ظلّاً لشخص يقترب من المعبد، وعندما اقترب أكثر فأكثر، عرف أنّه الكاهن الأعظم الوحيد بين جميع الكهنة الذي كانت له لحية بيضاء كثة ضخمة تميزه، رغم أنّ التقليد الكهنوتي يقتضي أن يحلق جميع الكهنة الشعر تماماً في الوجه والذقن.

لقد كان للكاهن الأعظم هيبة وحظوة عند الملك، حيث إنّه الشخص الوحيد المصرّح له بالدخول عليه في أي وقت بدون استئذان، فبالنسبة للملك الكاهن الأعظم هو الأب والمعلم والمستشار الأمين الذي رباه منذ الصغر حتى في وجود والده الملك سحوت الأول لثقته به وعلمه أنه سيجعل منه ملكاً عظيماً في المستقبل، وقد صدق في توقعه فيمكن أن نقول إنّ زوسر الخامس هو من صنع يدي الكاهن الأعظم إن جاز هذا التعبير، لذلك لم يسبق أن رفض له من قبل طلباً أو خالفه في مشورة، لكن بسبب مرض شديد ألم بالكاهن الأعظم الذي تجاوزت سنوات عمره التسعين عاماً والتي كانت مليئة بالعلم والحكمة والبحث في الأسرار والفلك والتنجيم، غاب لمدة عام كامل عن مجلس الملك وأصبح كل هم للملك في هذه الفترة أن يشفي الكاهن الأعظم فبدونه أحس لأول مرة أنه أصبح يتيماً ووحيداً في هذا العالم رغم فرض سيطرته عليه حتى وقت قريب، وبلا شك ما كان الكاهن الأعظم لو كان موجوداً أن يسمح بتنفيذ مثل هذا القرار غير المدروس، بذهاب معظم القوات إلى الجنوب، وترك ألفي جندي فقط هنا في العاصمة لحمايتها.

تعجب كازان بشدة من قدرة الكاهن الأعظم على المشي مجدداً على قدميه والذهاب إلى المعبد لأول مرة منذ إصابته بالمرض الشديد منذ عام كامل، لا بد أنّه أحس بالألم الذي يعتصر قلب الملك فلم يستطع أن يظلّ طريح الفراش في مثل هذا الظرف العصيب. وبعد دخول الكاهن الأعظم المعبد،

حاول كازان الاقتراب من باب المعبد ليسمع ما يدور بينهما، ولكن كان ذلك شديد الصعوبة، فلم يسمع سوي كلمات متفرقة لا يستطيع فهم شيء منها، وشاهد الكاهن الأعظم وهو يضع يده على كتف الملك الذي كان راكعاً على الأرض يصلي ويبكي في مرارة، ثمّ انتبه الملك لوجود الكاهن الأعظم؛ فهبّ واقفاً فرحاً برؤيته كطفلٍ تائهٍ وجده والده، ودار بينهما حديث قصير، وعندما همَّ الملك والكاهن الأعظم بالخروج من المعبد، أسرع كازان بالابتعاد والتخفي كي لا يراه الملك في مثل هذا الموقف ويظن به ظن السوء.

قضى كازان ليلته كلها يفكر في الحديث الذي من الممكن أن يكون قد دار بينهما، ويفترض عدة سيناريوهات، هل مثلاً أشار الكاهن الأعظم على الملك بالهروب هو وأسرته فوراً ليلتحق بالجيش المرابض في بلاد النوبة تاركاً شعبه فريسة ليواجه ويلات هجوم الأعداء الكاسح وحده؟

إنّ هذا هو أكثر الفرضيات احتمالية رغم قسوته على الملك وبعده عن شخصيته العنيدة الشامخة المضحية، لكن لا يوجد حلّ آخر سوى ذلك الحل مرّ المذاق، ولا يوجد أي عقل أو مستشار أمين في العالم كله سينصح الملك بغير تلك النصيحة ولا غيرها سيكون مجدياً، لأنّه السبيل الوحيد للملك أن يستجمع قواته ويهجم مرة أخرى على الأعداء لكن سيكون ذلك بعد فوات الأوان بعد أن يكونوا قد انتهوا من تحطيم عاصمته وقتل

واستعباد شعبه والاستيلاء على خيرات البلاد، يفعلوت بها ما يشاؤون بعد أن تركت لقمة سائغة لهم وفريسة شهية للانقضاض عليها.

لم يجرؤ كازان على البوح بما استنتجه أمام الملك، لأنّه يعلم جيداً أنّ قراره منذ اللحظة الأولى التضحية بنفسه ورفض ترك الشعب فريسة ويعتبرها وصمة عار وخيانة في تاريخه الناصع، لكن إذا كان مصدر هذا الاقتراح الكاهن الأعظم، فبالتأكيد سيوافق الملك عليه.

ترى هل سيخبر الملك كازان بقراره هذا في الغد، أم سيهرب متخفياً في الليل دون إخبار أي شخص حتى قائد جيشه الذي قضى عشرة أعوام يخدمه بكل إخلاص منذ وفاة والده.

غداً ستتضح الأمور خاصة لو شاهد أي علامات تدل على نية الملك للهروب مثل تجهيز الموكب له وجمع زوجاته وأبنائه ليرحل بهم. وقتها سيرحل هو الآخر بكل تأكيد.

فوجوده في الجيوش العائدة من النوبة سيكون أكثر إفادة ونفعاً؛ لمعرفته وخبرته الكبيرة بجيوش الفينيقيين والآشوريين أكثر من أي فرد، وتوقعه خططهم وردود أفعالهم إذا تمت مهاجمتهم.

في اليوم التالي قرر كازان أن يذهب إلى قصر الملك من أجل مقابلته؛ ليعرف إن كان سيواجهه ويخبره بقرار الهروب أم لا، ويرى بنفسه إن كانت هناك استعدادات خفيه تجري للإعداد للهروب خارج البلاد.

عندما وصل كازان إلى القصر أخبره الحارس أنّ الملك نائم ولن يستقبل أحداً الآن، وأنّه أعطى تعليمات مشددة ألا يزعجه أحد أو ويوقظه مهما كانت الحالة طارئة أو مهما كان منصب ومكانة من يريد مقابلته وقت راحته.

اندهش كازان لذلك فالشعور بمدى خطورة الموقف وضخامة المسؤولية وصل إلى ذروته لدى الملك، فلم يكن ينام سوى ساعة أو ساعتين في اليوم كله على الأكثر طوال الفترة الماضية من شدة القلق منذ أن تيقن أنّ لا أمل في عودة الجيش في الوقت المناسب وأنّ الهزيمة قادمة لا محالة، وكل وقته يقضيه إما في عقد اجتماعات مع رجال الدولة للتشاور أو الإشراف على الجنود والتحصينات، ولم يتبقّ سوى ليلتين على وصول القوات المهاجمة إلى العاصمة كما أكدت عيون الملك الذين أرسلهم لاستطلاع موقف جيش الأعداء فهل هذا وقت النوم؟

واستدرك كازان فقال لنفسه: إنّ الملك بشر من لحم ودم، والبشر لهم قدرات محدودة فلا بد أنّه من كثرة الإرهاق وقلة النوم المتواصلين لم يستطع جسده المقاومة، فكما يقولون إنّ للنوم سلطاناً ولا بأس بذلك فنومه قبل مواجهة العدو سيعطيه طاقة لإدارة الجنود وقت المعركة والقدرة على اتخاذ القرارات في الميدان.

انصرف كازان، ثمّ عاد مرة أخرى قرب وقت العصر ليقابل الملك، ولكن للمرة الثانية أخبره الحارس أنّه لم يستيقظ بعد، مما أصابه بالذهول فهو

تقريباً بهذا الوضع قد ألغى كل الاجتماعات المهمة لوضع اللمسات النهائية على خطة الدفاع ورسم تكتيكات الكرّ والفرّ، وأيضاً يعني أنه أعطى الجنود راحة من التدريبات والمناورات اليوم، فلن تقام بالتأكيد دون حضوره أو حضور قائد الجيش.

حدّث كازان نفسه: لا بد أنّ الملك فقد أي أمل في صدّ هجوم الأعداء واتخذ قراره بالهروب بالفعل لذلك لم يعد يشغله الإعداد للمعركة.

إذاً لا بد أن تكون هناك حركة مريبة داخل القصر للإعداد للهروب الكبير إلى موقع الجيش في النوبة، يجب أن يذهب الآن ليستطلع ما يحدث حول القصر.

وبالفعل لاحظ كازان وجود تحركات غير معتادة بالقصر، وجد الجواري الحسناوات يلبسن ملابس الاحتفال ويتدربن على الآلات الموسيقية ووجد الطباخين والخدم يعدون ولائم الطعام وزجاجات الخمر والفاكهة مما زاده استغراباً، فذهب وسأل أحد الخدم عما يفعلون، فقال له: إنّ الملك أمر بالتجهيز لإقامة حفلة كبيرة اليوم، فلقد اشتاق إلى مثل هذه الحفلات التي لم يقمها منذ أشهر عديدة.

من الصدمة لم يستطع كازان التكلم لدقائق واعتقد أنه يحلم وأنّ ما يجري حوله خيال حتى قطع أحد الحراس صمته ونادى عليه قائلاً: سيد كازان لقد استيقظ الملك وهو الآن في انتظارك.

ذهب كازان مسرعاً متلهفاً إلى مقابلة الملك، وفي ذهنه خطط وتكتيكات كثيرة ليقدمها إليه استعداداً للحرب، وعندما دخل عليه قال: متعك الله يا ملكنا العظيم بالصحة والعافية أتمنى أنك قد نمت نوماً جيداً.

- ولأوّل مرة منذ فترة طويلة وجد وجه الملك مبتسماً وهو يقول: نعم يا كازان ما أحلى النوم! إنّه لذيذ كالعسل، لقد نمت نوماً عميقاً لم أنم مثله منذ فترة طويلة. لقد أخبرني الحراس أنك جئت مرتين للسؤال عني، هل يوجد أمر مهم، هل استطعت اكتشاف الجاسوس الخائن؟

- قال كازان: لا يا مولاي ليس بعد، لكن لدي أفكار وخطط جديدة وتكتيكات تمركز للجنود بحيث يتغلبون على مشكلة قلة أعدادهم وتكون فاعليتهم أكبر في صدّ هجوم الأعداء.

- قال الملك مقاطعاً: جيد جدّاً أنا أفوضك في كلّ ما تفعل برجاء الاجتماع مع باقي القادة وأخبرهم بخططك وأنا أعطيك موافقتي وكلّ الصلاحيات التي تريدها.

- سأل كازان: ألن تكون موجوداً معنا في الإشراف على الجنود والتخطيط للمعركة يا مولاي؟

- قال الملك: لا... سأذهب لأستجمّ قليلاً في رحلة صيد. إنّ الصيد يجدد الحيوية والنشاط وأنا أهوى ممارسته بشدة كما تعلم.

- رد كازان متلعثماً: مفهوم، مفهوم يا مولاي، برجاء اسمح لي بالانصراف.

وأذن له الملك بالمغادرة.

خرج كازان من عند الملك وهو يضرب كفاً بكف، إنّ من يراه وهو يمشي متخبطاً في الطرقات يحدث نفسه بصوت عالٍ غير مبالٍ بما حوله سيقول بلا شك أنّه قد جنّ وذهب عقله.

لم يستطع كازان مواجهة الملك أو لومه أو التصريح له بأنّ لديه شكوكاً أنّه سينفذ خطة هروب إلى النوبة فهيبة الملك تمنعه من البوح له بذلك.

بجانب أنه لم يرَ أي استعدادات على الأرض للهروب كما تخيل، بل استعدادات للحفلات في مثل هذا الوقت العصيب.

ترى هل جنّ جنون الملك نتيجة للضغوط الشديدة الواقعة عليه ووصل إلى مرحلة الانتشاء؟ فشدة الألم وذروته تتحول عند بعض الناس إلى الشعور بالمتعة من كثرة إدمانه، أم أنه علم أن أيامه معدودة في الحياة فقرر أن يفعل ما يحلو له قبل مفارقتها، أم يوجد شيء خفيّ لا يعلمه؟ ولماذا تغير حاله رأساً على عقب منذ لقاء الكاهن الأعظم، يا تري ما هو الحديث الذي دار بينهما وجعله يتحول من النحيب كالطفل إلى حالة الثقة والاسترخاء المفرطين؟

إنّ المعركة بعد عدة ساعات وعندما يختفي غبارها من الجو سيتضح كل شيء.

فقط إنّه على يقين أنّ وضع مصر قبل المعركة لن يبقى كما هو في جميع النواحي بعد نهايتها.

الفصل الثاني

جنون العظمة

"أنْ تمتلكَ قوى مدمرة قد تكون تلك نقطة ضعفك الكبرى"
(بردية الموتى/ غرور القوة/ الكاهن الأعظم)

لندن ٢٠٥٠

في الطابق الرابع والعشرين من ناطحة السحاب الشاهقة في شارع أكسفورد المملوكة لرجل الأعمال الشهير إيلان، جلس المئات من الحضور بعد انتهاء الحفل الموسيقي الضخم المقام على المسرح الكبير الموجود بالجناح الشرقي في القسم الترفيهي بالناطحة، ينتظرون في شوق كبير ظهور مقدم الحفل للإعلان عن قدوم السيد إيلان للكشف عن آخر منتجاته التكنولوجية العجيبة التي يتلهف لرؤيتها الجميع.

حتى المشاهدون في البيوت ينتظرون هذا الحدث الكبير بفارغ الصبر من العام إلى العام الذي يليه والذي يذاع على الهواء مباشرة على التلفزيون الوطني، وتصل نسبة المشاهدة وقتها إلى ذروتها لشدة الإبهار الذي يقدم به العرض وتميز المنتجات الجديدة من الابتكارات التي تقدم إلى العالم لأول مرة وتصنع ثورة وضجة كبيرة في عالم التقنية وبراءات الاختراع، وتدهش

الجميع لأنّها تفوق دائماً توقعاتهم وخيالهم، وفي كلّ عرض يتساءل الجميع ماذا يوجد في جعبة السيد إيلان هذه المرة من مفاجآت جديدة؟

وبعد عدة دقائق ظهر مقدم الحفل مرتدياً حلة زرقاء في كامل أناقته، ليقول في حماسٍ: أهلاً بكم مرة ثانية، أتمنى أن تكون الحفلة الموسيقية قد أعجبتكم جميعاً في هذه الليلة الرائعة، شكراً لحضوركم ودعمكم الدائم ونتوجه بالأسف لمن لم يستطع الحضور لنفاد التذاكر بمجرد طرحها في الأسواق والمواقع الإلكترونية، أعلم أنّكم الآن في قمة الشوق للفقرة الرئيسة للحفل لإزاحة الستار عن أحدث الابتكارات لهذا العام، لذا دعونا لا نضيع وقتاً أكثر من ذلك.

رجاء رحبوا بحرارة معي جميعاً بنجم الفقرة السيد إيلان مالك شركات إيلان العالمية وعضو المجلس العالمي للابتكار والتكنولوجيا.

وقف كل من في القاعة، وبدأ الجمهور في التصفيق الحار، وبعد ثوانٍ انطلق رجلٌ من خلف الستار مندفعاً في حماسٍ بخطوات سريعة رياضية وابتسامة عريضة يلوح للجمهور بالتحية، رجل يميل إلى البدانة قليلاً، وإلى القِصر أقرب منه إلى الطول، قصير الشعر ويرتدي بدلة حمراء مميزة غير مألوفة، لكنّها في الوقت نفسه تبدو أنيقة ولا تخطئ عين في تقدير أنّ الرجل الواقف أمامهم من ذوي الثراء الفاحش، وبمجرد صعوده إلى المنصة بجانب مقدم الحفل قال: أشكركم جميعاً على التصفيق الحار وأشكر مقدم الحفل على هذه المقدمة، وأرحب بتشريفكم لي اليوم لكشف الستار عن أحدث

منتجات شركة إيلان للتكنولوجيا المتطورة، اسمحوا لي أن أبدأ فوراً ولكن أولاً أود تقديم مساعدي إيدي إليكم الذي سيشاركني اليوم في تجربة المنتجات الجديدة وتقديم العرض، ثمّ نادى بصوت عالٍ: تفضل يا إيدي برجاء الترحيب به بقوة.

دخل إيدي وكان شخصاً طويل القامة أصلع يرتدي بدلة سوداء ونظارة سوداء، ضخامة جسده تعطيك انطباعاً أنّه ملاكم أو مصارع أو حارس شخصيّ قوي البنية، وقام بتحية الجمهور، ثمّ قال له إيلان ممازحاً: كم أنت أنيق يا إيدي ووسيم! ستخطف أضواء المسرح مني. رد إيدي مبتسماً: مستحيل يا سيدي أنت الأفضل بلا منازع، فأنت من تقوم بدفع رواتبنا، ثمّ ضحك الاثنان والجمهور لهذه المزحة اللطيفة، ثمّ وجّه إيلان كلامه للجمهور وهو يبدو أنه يتصنع الاضطراب: عذراً لقد نسيت أنّه يجب عليّ إجراء مكالمة عاجلة أولاً أرجوكم لا تنزعجوا لن تستغرق سوى ثوانٍ معدودة، لكن أين هاتفي لا أجده لا بد أنّني قد نسيته في قاعة الاجتماعات.

إيدي هل ممكن أن أستخدم هاتفك؟ قال إيدي: بكل سرور، ثمّ أزاح طرف كمه لتظهر أسورة صغيرة يرتديها على معصمه بمجرد لمسها ببصمة أحد أصابعه ظهرت صورة هولوجرامية لشاشة هاتف افتراضية على يده وقام إيلان باستخدامها لطلب رقم ما بنفس طريقه الهاتف الجوال الطبيعية ليصدر صوت من إحدى الأساور الأخرى على معصم إيلان وتنبعث منها

شاشة هاتف افتراضية أخرى تظهر فيها صورة وجه إيدي وهو أمامه بشكل مباشر وأصدر الجمهور صيحات اندهاش من وسط القاعة تعبيراً عن إعجابهم الشديد بهذا الاختراع الجديد وطريقة تقديمه اللطيفة.

قال إيلان: ها قد بدأنا للتوّ بأول اختراع أمامكم لأول هاتف جوال افتراضي لا حاجة أن تمسكوا به أو تضعوه في جيوبكم كي لا تنسوه، بالإضافه أنه يعرض بثاً حيّاً مجسماً للمتكلم إذا وافق على تفعيل هذه الخاصية بالإضافة لجميع الخصائص الأخرى لأحدث جهاز نقال موجود الآن من القدرة على تصفح جميع وسائل التواصل الاجتماعي وكتابة الرسائل وتحميل التطبيقات على هذه الشاشة الافتراضية، ويمكن أيضاً التقاط الصور وتسجيل فيديوهات وحفظها في ذاكرة تخزينية بسعة لا محدودة. حيث يتم تخزين جميع الصور والفيديوهات في ذاكرة سحابية مرتبطة بحساب البريد الإلكتروني الخاص بكم.

والآن أريد أن أطلعكم على سر صغير، أنا لم أتناول عشائي بعد وأشعر بالجوع، لذلك طلبت من إيدي أن يحضر لي شطيرة هامبرجر بالمايونيز والكاتشب لأتناولها في استراحة العرض، لكنّني لا أستطيع الانتظار، وأريد تناولها الآن كي أستطيع إكمال تقديم باقي فقرات الحفل.

ضحك الجميع، ثمّ تقدم إيدي ومعه الشطيرة وفي شكل يظهر جلياً أنّه متعمد أوقع إيدي الشطيرة المملؤة بالمايونيز والكاتشب على بدلة إيلان التي

تلطخت بها، وأحدثت بقعة كبيرة وقال: آسف يا رئيسي لم أكن أقصد ذلك.

بدا إيلان منزعجاً وقال: يبدو أنني سأكمل العرض بثياب ملطخة، ثمّ قال لإيدي: حسناً، لا عليك سأرسلها للتنظيف غداً في المغسلة، ولكنّني لا أعتقد أنّ أي مغسلة قادرة على محو بقع من المايونيز والكاتشب معاً بدون ترك أثر، ثمّ تظاهر بالاندهاش، وقال: لكن انظروا إنّها معجزة لقد اختفت البقع تماماً خلال ثوانٍ!

سيداتي وسادتي أقدم لكم اختراعي الثاني الملابس الليفية القادرة على تنظيف نفسها تلقائياً من كافة أنواع الأوساخ والبقع، ويوجد أيضاً منها نسخة مطعمة بخيوط رقيقة من الفولاذ مضادة للرصاص، كميزة إضافية للحماية الشخصية لمن يحتاج لهذا النوع.

صفق الجمهور في شغف، ثمّ طلب إيلان منهم الآن الهدوء والتركيز التام؛ استعداداً لعرض المنتج التالي، ثمّ طلب من إيدي أن يذهب إلى أحد جوانب المسرح المغطاة بستائر حمراء ويزيح هذه الستائر لتظهر سيارة حمراء فخمة يظهر فيها جلياً روعة التصميم.

قال إيلان: شكراً يا إيدي، وتوجه إلى الجمهور، وقال: قد تظنون أنّ هذه السيارة سيارة عادية سريعة أو سيارة كهربائية أسرع من الصوت مثلاً. أحبّ أن أخبركم أنّ هذه هي أوّل سيارة طائرة في العالم، صُنِعَتْ منها حتى الآن سيارتان فقط، هذه إحداهما. ثمنها يبلغ ثلاثين مليون دولار قادرة

على الطيران لمدة عشرين ساعة متواصلة بمعنى قطع المسافة من أمريكا إلى الصين ثلاث مرات دون الحاجة إلى الهبوط للتزود بالوقود، كما أنّ بها خزان طعام يكفي لمدة الرحلة ومزودة بإنترنت فضائي وشبكة مكالمات دولية متوفرة في أصعب الظروف وعلى أي ارتفاع كما بها طيار إلى وبها نظام ملاحة قادر على الوصول لأي مكان بمجرد إدخال الإحداثيات ونظام مسح بالأشعة السينية ونظام رؤية ليلية. وفي حال رغبتكم عدم استخدام القيادة الذاتية وقيادتها بأنفسكم، فعليكم أن تعلموا أنّ قيادتها أسهل مما تتخيلون، ولذلك سيقوم إيدي الآن بتجربة القيادة بنفسه أمامكم دون تدخل من المساعد الآلي، وستكونون قادرين على متابعة التجربة كاملة على الشاشة الكبيرة أمامكم، حيث تم تزويد السيارة بكاميرة تصوير ثلاثية الأبعاد وهناك طائرة هليكوبتر أيضاً ستشارك في التصوير الجويّ، ثمّ أعطي إشارة لإيدي ليبدأ العرض وانطلقت السيارة في الجوّ بسرعةٍ كبيرةٍ، وقام إيدي بعدة مناورات خطيرة بين ناطحات السحاب وسط تصفيق وإعجاب الجميع وشهقاتهم، ثمّ ارتفع بها فوق ناطحة السحاب على ارتفاع ألفي متر فوق سطح البحر، ثمّ هبط بها بكل سلاسة وخرج من الطائرة بابتسامة عريضة تدل على الثقة.

صفق الجمهور في حماسة تدل على إعجابهم الشديد بالعرض الذي شاهدوه، ثمّ قام إيلان بشكر إيدي وتحيته هو الآخر، وطلب منه أن يقف بجانبه، ثمّ قال:

أنتم بالطبع تنتظرون كما تعودتم أن تكون مفاجأة الحفل هي الاختراع الأخير، الذي يقدم في نهاية العرض دعوني أخبركم خبرين الأول: أنكم بالفعل شاهدتم هذا الاختراع وقمتم بالتصفيق له بحرارة ولا أبالغ أن أقول إنّه أبهركم دون أن تدروا، أما الخبر الثاني قبل أن أقوله أريد أن أعلن اعتذاري وأسفي الشديد لجميع الفتيات والشابات في هذه القاعة اللاتي أعجبن ووقعن في غرام إيدي من أول نظرة لأن الخبر الثاني هو أنّ اختراعي المفاجأة التي حرصت على كشفها آخر العرض لترك انطباع الانبهار لديكم أن إيدي ما هو إلا أحدث إصدارات الروبوتات من شركتنا، وكما رأيتم فإنّه لا فرق بينه وبين الإنسان العاديّ، قادر على الضحك وإلقاء النكات والتفاعل وقيادة السيارات بمهارة ولا ينقصه أي امتيازات، والدليل أنّ جميعكم وأنتم على بعد مترين فقط من خشبة المسرح لم تشكوا ولو للحظة أنّ إيدي ليس إنسان مثلي ومثلكم.

وقف الجميع وصفقوا بحرارة مرة أخرى ولكن هذه المرة لمدة أطول بكثير امتناناً لهذا العرض الرائع والاختراع المدهش الذي لم يتخيله أحد، ثمّ قام إيلان بتحية الجمهور واستأذن للانصراف فلقد حان موعد اللقاء الصحفي المعتاد في نهاية العرض مع أشهر مراسل صحفي لأشهر قناة إخبارية في البلاد السيد روبرت كاميرون.

"إيلان بمجرد نطقك بهذا الاسم إذا لم يكن لك قريب أو صديق يحمله، فبالتأكيد إن أول صورة لشخص تأتي على ذهن أي إنسان في العالم بشكل

فوري تذهب إلى ذلك الشخص الأكثر شهرة وتأثيراً، الرجل الأكثر غموضً وإثارة للجدل رجل الأعمال صاحب الشركات متعددة الجنسيات العابرة للقارات أغنى شخص في العالم الذي يملأ اسمه مواقع ونشرات الأخبار بلا توقف"

كانت هذه المقدمة التي قالها الصحفي الأشهر روبرت لتقديم السيد إيلان.

- ابتسم إيلان وقال: شكراً على هذه المقدمة يا روبرت، لكنّني شخص أبسط من ذلك بكثير.

- قال روبرت: كفى تواضعاً، بل أنت تستحق أكثر من ذلك لا يكفي كتاب لوصف عدد الإنجازات التي قدمتها في وقت قصير ولا الدور المؤثر الذي تقوم به في هذا العالم بلا مبالغة.

يقولون: إنّ جسد الإنسان الطبيعي يتكون من خلايا، ولكن إيلان له جسد يتكون من تناقضات وتحديات وجنون ما رأيك بهذه العبارة؟

- ضحك إيلان بصوت عالٍ، ثمّ قال إذا كان هذا رأي الناس بي فلا بأس أنا موافق، فكما تعلم فأنا رجل ديمقراطي وأرحب بجميع الآراء.

- قال روبرت: أنت تملك الآن شركات كبرى تعمل في صنع أشياء كنا نظن أنها خيال فقط حتى وقت قريب مثل الروبوتات المتكلمة التي تتفاعل مع البشر، والطائرات الكهربائية القادرة على السفر لمسافات مهولة دون الحاجة للتوقف للتزود بالوقود في الجو كما شاهدنا في العرض منذ قليل، بالإضافة إلى أكبر شركة ذكاء اصطناعي في العالم، وتحتكر تقريباً تصنيع

وتشغيل جميع الأقمار الصناعية في الفضاء بكل أنواعها، بماذا تشعر وأنت تملك كلّ ذلك؟

- إيلان: في البداية كنت أشعر بالزهو والفخر والإعجاب بما حققته، لكنّني اليوم لو صدقتني لا أشعر بشيء، فلا يوجد منافسة لتحفيزي أو تحدٍ يجذبني، أنا الآن أنافس فقط نفسي، لقد حققت ما يكفيني في عالم الاختراعات وعالم المال وتأسيس الشركات، وكما تعلم لقد أطلق عليّ الناس لقب ساحر الشركات، فأيّ شركة صغيرة أقوم بتأسيسها تصبح عملاقة ومحتكرة للسوق في مجالها في أقصر وقت، أنا فقط مستمر بسبب إلحاح الناس وطلباتهم كما رأيت في العرض منذ قليل. أنا الآن وجه إعلامي لتسلية الناس، وهذا فقط ما يعطيني بعض السعادة حالياً.

- روبرت: هذا عظيم! هل تسمح لي بسؤال جريء قليلاً؟

- إيلان: بالطبع تفضل، فليس لدي ما أخفيه.

- قال روبرت: هناك شائعات تقول إنّك تقوم باستغلال الدول الفقيرة وتتحكم في قراراتها السياسية، وإنّك الحاكم الفعليّ لبعض البلدان منها عن طريق قيامك بإقراض هذه الدول الصغيرة ودول أخرى تقوم بتمويل ديونها مقابل الحصول على ثرواتها الطبيعية والتنقيب عن البترول والغاز والفحم بها؟

- قال إيلون: سأكون صريحاً معك، بالطبع أنا أقوم بمساعدة وإقراض بعض الدول الفقيرة وأحياناً تقوم هذه الدول بسداد مديونياتها عن طريق إعطاء

امتيازات لاستخدام جزء من ثرواتها الطبيعية مثل: الماس والذهب، وأشجار البابونج والمطاط، وليس سراً أن أخبرك أنّ بعض الدول قد عرضت عليّ أن أكون رئيساً لها أو أكون رئيساً شرفياً على الأقل، رغم عدم امتلاكي للجنسية لكنّني رفضت مع العلم أنّ هذا لا يمنع أنّ لي رغبة في حكم بلدي إنجلترا، ولولا أنّ إنجلترا تحكمها العائلة المالكة وأنا لست عضواً فيها لكنت أصبحت الآن الحاكم لها لو تمت بها انتخابات شعبية.

- روبرت: ولكن هل لهذه الدرجة لديك الثقة لترى نفسك جديراً بهذا المنصب؟

- إيلان: بالطبع، بل أنا أستحق أن أكون حاكماً للعالم كله، وليس إنجلترا فقط، وأسعى لذلك فعلاً.

- اندهش روبرت لمقولة إيلان وقال: إذاً أنت تخبرني أنني أجلس الآن أمام رئيسي المستقبلي! إذاً قل لي كيف ستحقق ذلك؟ هل أنت جاد فيما تقول أم أنها مجرد مزحة؟

- قال إيلان: بالطبع أنا جاد وها أنا أعلن رغبتي أمام الجميع ولا أتردد في ذلك، أما عن كيف سيتحقق ذلك فلا تسألني، فحتى الآن ما زلت أجري أبحاثي ودراساتي، وبالتأكيد سأصل لما أريد فلم أتعود أبداً أن تكون لدي رغبة بشيء ولا أحصل عليه ولا أعرف معنى الفشل.

وكما أنّ جميع اختراعاتي كانت مجرد حلمٍ يوماً ما فها هي أصبحت حقيقة. وأيضاً هذا الحلم الأكبر سيكون حقيقياً.

- إذاً اسمح لي بسؤال أكثر جرأة.

يطلقون عليك رجل التناقضات كونك أكبر ممول للجمعيات الخيرية التي تقوم بالأبحاث من أجل مكافحة الأمراض والأوبئة كالكوليرا والإيدز والجدري، وأيضاً لك إسهامات وتبرعات ضخمة للقضاء على المجاعات المنتشرة في العالم، خاصة دول غرب وجنوب أفريقيا الفقيرة ولكن وفي نفس الوقت تمتلك أكبر شركات تصنيع وتوريد الأسلحة في العالم، كما أنّه تحوم حولك شبهات عديدة حول علاقاتك بمنظمات سرية تعمل في مجال سرقة وتهريب الآثار وبيعها في المزادات العالمية، بالإضافة إلى علاقتك بمنظمات تتاجر في المخدرات في أمريكا الجنوبية؟

- قال إيلان: بالنسبة للجزء الخاص بتمويل الجمعيات الخيرية ومكافحة الفقر والأوبئة، فأنا أؤكد ذلك أما باقي الشائعات فهي شائعات مغرضة تسعى للنيل مني ومصدرها المنافسين والحاقدين ولا أساس لها من الصحة، وكما تعلم قام الأنتربول والشرطة في أكثر من دولة بعمل تحريات حول أعمالي والتحقيق معي، وانتهت التحقيقات ببراءتي.

- قاطعه روبرت: ولكن يقال إنك قمت برشوة أجهزة الشرطة والمحققين لذلك لم يقم أحد بإدانتك.

- قال إيلان: كما ذكرت لك هذا ليس صحيحاً وأرجو ألا نأخذ وقتاً أطول في مناقشة مثل هذه الأكاذيب من كارهي النجاح.

- روبرت: حسناً سيد إيلان، لننتقل إلى جزء آخر مثير في حياتك الشخصية.

أنت تؤمن بالعلم ولديك أعلى شهادات جامعية من أرقى الجامعات، ولديك عدة براءات اختراع في مجالات البرمجة والحاسبات، ومع ذلك فإنّك أكثر شخص مهووس بالأساطير والخرافات، وتنفق أموالاً كثيرة في هذا المجال أيضاً لاكتشاف وتتبع الأساطير في جميع بلاد العالم القديم فكيف تجمع بين هذين النقيضين؟

- رد إيلان: لو لم يكن ذلك جزءاً أساسياً من شخصيتي لم أكن لأصنع وأقدم لكم أشياء في السابق تخيلتموها جميعاً أساطير خرافية، فالأسطورة تعطيني الهدف والرؤية التي أعمل من أجلها، والعلم والتكنولوجيا هي أدواتي المتقدمة التي تساعدني لتصبح الأسطورة واقعاً ملموساً.

هل تعلم أنّ العلماء وجدوا على جدران المعابد في مصر وحضارة المايا صوراً للطائرة الهليكوبتر والهاتف النقال، ترى هل كانوا أكثر تطوراً منا؟ هذا سر لا يعلم أحد تفسيره.

وكما أنتم تعلمون عندما تم اختراع الكهرباء المترددة في معامل تسلا ظن البعض أنه ساحر يقوم بتحضير شياطين مؤذية، وعندما اخترع أديسون المصباح ظنّ البعض أنّ بداخله جنيّاً يقوم بدور الإضاءة، كذلك السيارة الطائرة والإنسان الآلي المتكلم الضاحك، الكلّ ظنّ أنّها خيال وأساطير لن

تتحقق، ولكن اليوم أمامكم قدمت لكم هذه الأساطير في شكل الواقع، كما رأيتم في العرض منذ قليل.

- سأل روبرت: لكن ما سر اهتمامك الخاص بشكل لا لبس فيه بالحضارة الفرعونية القديمة بالذات، وخير دليل وكما نرى الآن ونحن في مكتبك التصميم الفرعوني الذي يطغى عليه حتى الديكورات الخاصة بالغرفة أعمدتها مستوحاة من المسلات والتماثيل الفرعونية، كما يوجد مجسم للأهرامات في وسط الغرفة وعلى الحائط أيضاً لوحة ضخمة للملكة نفرتاري وأخرى للملكة كليوباترا معلقة على الحائط المقابل.

لماذا لا يوجه هذا الاهتمام بالحضارة الصينية أو البابلية أو الرومانية أو حضارة شعوب الإنكا مثلاً؟

- إيلان: سؤال جيد، إنّ لهذه الحضارة سحراً خاصاً؛ فهي أصل وأول الحضارات التي قامت، ثمّ قامت باقي الحضارات بالاقتباس منها، ومع احترامي لباقي الحضارات، فلا أنكر أنّ لكلٍّ منها معالم إبداعية خاصة بها في كافة المجالات تميزها عن سواها، لكنّها أيضاً تأثرت بها، كما أنّ الحضارة المصرية حتى هذه اللحظة ما زالت ثرية كبحر بترول لا ينضب مليئة بالأسرار والأساطير والبيوت والمقابر والمومياوات المدفونة التي لم تكتشف حتى الآن.

أستطيع القول بثقة أنّ ما اكتشفناه لا يتعدى الثلاثين بالمائة من الكنوز والمعابد المدفونة تحت الأرض، إنّ أرض مصر بالمعنى الحرفي تطفو فوق بحر من الآثار والأسرار.

- روبرت: أتفق معك، ولكن دعني أستوضح معك نقطة ذكرتها، ما دليل أنّ جميع الحضارات قامت بالاقتباس من الحضارة الفرعونية القديمة؟

- إيلان: الدليل على كلامي وجود الأهرامات في بلدان أخرى، مثل: السودان، والمكسيك، وعدة دول، أمريكا الوسطى، والصين، وأندونيسيا، وحتى في روما بإيطاليا، وأكثر من 60 دولة أخرى.

- روبرت: إجابتك هذه أثارت فضولي وجعلتني أتساءل، لماذا اقتبست معظم الحضارات والدول الأخرى شكل الأهرامات بالذات، ما سبب هذا الانتشار غير المنطقي؟

- ابتسم إيلان ابتسامة خبيثة وقال: يعجبني ذكاؤك الشديد يا روبرت وقوة ملاحظتك، لذلك اخترتك أنت بالذات لإجراء هذا اللقاء الصحفي المطول، وأعلن أيضاً أنّه الأخير لأنني لن أقوم بإجراء أية مقابلات صحفية أخرى في حياتي، فلقد سألتني كلّ الأسئلة الممكنة التي تهم المشاهدين، وقد قلت كلّ ما لدي بشكلٍ تفصيليّ وصريح.

لنعد الآن إلى سؤالك المهم، أعتقد أنّ هذا هو مربط الفرس والإجابة عنه ستكشف سراً من أخطر الأسرار في التاريخ، ولا أخفيك أنّه شغلي

الشاغل الآن، وقد كرست أموالاً كثيرة وسأكرس وقتي كله الفترة القادمة لاكتشاف ذلك السر.

لذا فإنّها أيضاً لمناسبة جيدة لأعلن لكم أنني سأتغيب عن الأنظار لمدة طويلة لذا لا تقلقوا عليّ.

- روبرت: لقد صدمتني بإعلانك هذا، لكنّك أيضاً زدتني شوقاً لأعرف لماذا ستكرس كل حياتك المقبلة للإجابة عن هذا السؤال؟

- ابتسم إيلان ابتسامة خبيثة للمرة الثانية وقال: إنّ معرفة سر اقتباس بناء الأهرامات في معظم البلدان والحضارات الأخرى هو المفتاح لحكم العالم.

اندهش روبرت وصمت قليلاً من الصدمة، لكنّه لم يشأ أن يكمل في هذا الموضوع ظناً أنّ إيلان يتلاعب به أو يسخر منه، لذا قرر معاقبته بالبدء بسؤاله أسئلة شديدة الخصوصية لها علاقة بطفولته وعائلته، لأنّه قد استطاع جمع بعض المعلومات بواسطة مصادر سرية عن ماضي إيلان المؤلم، والتي ستكون صادمة له عند مواجهته بها.

- روبرت: السيد إيلان، هل تسمح لنا أن نتعمق أكثر في الجانب الشخصي لك؟

- إيلان: أنا لا أحبذ ذلك، لكن لأنّ هذا آخر حديث صحفي سأقوم بإجرائه فلا بأس سأحاول أن أرد على جميع أسئلتك.

كما أنّني لا أنكر أنّ لطفولتي أثراً كبيراً في تكوين شخصيتي بهذا الشكل الذي تشاهدونه، فأنا منذ نعومة أظفاري أهوى القراءة، وعند بلوغي العاشرة قمت بتنمية اهتماماتي بالحوسبة باستخدام حاسب آلي منزلي ـ 8 - بت. لأتعلم عليه البرمجة ذاتياً وبدون مساعدة من أحد وأنا مازلت في سن الثانية عشر، قمت بكتابة كود بلغة البيسك خاص بلعبة فيديو صنعتها وبعتها لمجلة مقابل خمسمائة دولار تقريباً، ليكون أول مشروع لي في هذا السن الصغير، لقد كان ذلك عبقرياً بحق ومن هنا نما لدي حبّ صنع منتجي الخاص الذي أقدمه للعالم، أعتبره كابني الصغير الذي أحبه وأتباهى به.

ونتيجة لذلك أشعل بداخلي شرارة التجارة والأعمال والولوج إلى داخل عالم المال والاستثمار وبناء الشركات.

- روبرت: لكن هناك أيضاً جانب مظلم في طفولتك، أعتقد أنه هو المسؤول عن الجانب السيّئ في شخصيتك، لنذكر على سبيل المثال تعرضك لحالات عديدة من التنمر والمضايقات ولدينا مصدر يؤكد أنك في أحد المرات قامت مجموعة من الأطفال برميك من على السلالم في شجار بينهم، ونُقِلت إلى المستشفى.

ولم ينتهِ الأمر على هذا الحد حيث قامت مجموعة أخرى بضربك على الأرض حتى فقدت وعيك.

- إيلان: نحن لا نعيش في عالم مثالي، وبالطبع لسنا كلنا ملائكة وتعرض الجميع لمواقف مثل هذه أو مواقف أخرى محرجة في حياته.
لكنّني أعتقد بخصوص هاتين الواقعتين أنهما كانتا بسبب الغيرة الشديدة مني أو لأنّ الآخرين أحسوا مني بالغرور لتميزي بسبب إنجازاتي العديدة وأنا صغير ومدح أساتذتي لي، لا أنكر أنّ ما حدث نمّى لدي بعض مشاعر الكراهية والتصرف بوحشية تجاه الناس تظهر عندما أكون غاضباً أو عندما أرى أحدهم يقف في طريقي لتحقيق هدفي.
- روبرت: علاقتك بوالدك أيضاً شكلت مصدر صدمة لك ما تزال ترافقك حتى الآن، إذ أنك تصف وفي أحد اللقاءات الصحفية السابقة الأب بأنه شخص استغلالي، عاطفياً وجسدياً ولمحت أنك قد تعرضت للضرب في كثير من الأحيان منه ووبخك كثيراً؟
- إيلان: هذا صحيح، لأنّه كان معتاداً على شرب الخمر حتى الثمالة، وكان ينفق أمواله على رغباته فقط، ولا ينفق على المنزل وكثيراً كان يتشاجر مع أمي ويضربها وكنت أحاول الدفاع عنها فيضربني أنا الآخر.
- روبرت: إذاً كان هذا هو السبب لانفصال والدتك عن والدك وأنت في عمر العشرة أعوام وانتقالك للعيش معها بدون أب طوال حياتك؟

- إيلان: نعم، وهذا ترك أثراً نفسياً سيّئاً في داخلي لحرماني من عطف الأب ووقوفه بجانبي عندما كنت أحتاج لدعمه في أزماتي خاصة أنّني الابن

الوحيد، أما الآن وبعد أن أصبحت مشهوراً يأتي والدي إلى مكتبي ليطلب رؤيتي كثيراً، لكنّني لا أوافق على ذلك أبداً، وأكتفي بصرف مبلغ من المال له، فأنا متأكد أنّ هذا هو سبب زيارته لي، فهو لم يقم بزيارتنا في السابق حتى عندما مرضت أمي بمرض السرطان وماتت دون أن يأتي على الأقل ليلقي نظرة الوداع.

- روبرت: هذا محزن فعلاً، وماذا عن علاقتك بابنك الوحيد؟ ألا ترى أنك تتصرف معه كما كان يفعل والدك معك بدون أن تدري؟ فلقد طلقت والدته وهو في نفس عمرك وقتها!

وهناك كلام يقال إنك تقسو عليه ولدي حكاية توضح أنّ تصرفاتك معه كانت غريبة، ففي يوم رفض ابنك الذهاب إلى المدرسة لكي يذهب إلى النادي ليتدرب على "الكونغ فو" الذي يعشقه فما كان منك إلا أنك اشتريت جميع الأندية الرياضية بالمدينة وأصدرت قراراً بمنع ابنك من دخولها؟

- إيلان: هذا غير صحيح، فقصة ابني مختلفة عن قصتي تماماً، فأنا لم أهجره، بل كان يعيش معي وأنفق عليه ببذخ، لكنّه هو من هجرني وذهب ليشق حياته كما يحلو له بعيداً عني.

لاحظ إيلان أنّ هناك إشعاراً يفيد بتلقيه رسالة وصلت له على السوار الذي يرتديه وقرأ الرسالة المقتضبة التي تقول: وجدنا الهدف.

فما كان من إيلان إلا أنّه قام منتفضاً، وقال: آسف يا روبرت لا بد لي أن أنهي هذا الحوار الآن.

- قال روبرت منزعجاً: لكنّنا على الهواء مباشرة لا يمكنك فعل ذلك.

توجه إيلان لشاشة الكاميرا وقال: أكرر أسفي للمشاهدين جميعاً، لكن حدث لدي أمر طارئ يتوجب على الذهاب فوراً.

ثمّ انطلق مسرعاً ونادى إيدي ليحضر السيارة الكهربائية الطائرة، وركب بها معه، ثمّ انطلقا بسرعة كبيرة.

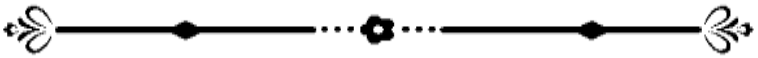

الفصل الثالث

جحيم المقبرة

بيرو ٢٠٥٠

"تقدم الأرض ما يكفي لتلبية حاجات كافة البشر، ولكن ليس بما يكفي لتلبية جشع وطمع كافة البشر"

جلس رجلٌ عجوز قارب على الثمانين من عمره أمام فناء منزله؛ ليمارس هوايته المفضلة في التدخين وتملأ وجهه التجاعيد ويرتدي الزيّ التقليديّ لشعوب أمريكا الجنوبية.

ويبدو أنّه كان يعمل كفلاحٍ بسيطٍ، لكن صحته قد خانته، فلا يوجد ما يستطيع فعله الآن طوال يومه سوى التأمل والتدخين.

وبينما هو في حالة انسجام مع السيجار الذي بين يديه وينفث منه الدخان في شكل حلقات.

هبطت أمامه فجأة سيارة فخمة حمراء اللون من السماء تنبعث منها إضاءة زرقاء ساطعة، فما كان من ردة فعله إلا أن سقط السيجار من بين أصابع يديه وفتح فاه من الدهشة ولولا سوء حالته الصحية لجرى هرباً مما رأى؛ ظناً منه أنّها مركبة فضائية جاءت للقيام باختطافه وإجراء التجارب عليه.

خرج إيلان من هذه السيارة يتطلع إلى المكان حوله، ثمّ قال في تأفف: الرطوبة هنا في ذروة مستوياتها أنا لا أحب الأجواء الاستوائية الحارة، ثمّ خاطب إيدي: صحح لي يا إيدي معلوماتي إذا كنت على خطأ.

معلوماتي تقول إنّ حضارة المايا لم تكن موجودة في بيرو، وإنما كانت موجودة في بلدان منطقة وسط أمريكا غواتيمالا، بليز، هندوراس، السلفادور أما بيرو كانت بها حضارة الإنكا هل هذا صحيح؟

التمعت عينا إيدي لثوانٍ أثناء قيامه بمعالجة المعلومات عن طريق برنامج الذكاء الصناعي المصمم بداخله، ثمّ قال معلوماتك صحيحة يا سيدي.

سكت إيلان لثوانٍ، ثمّ نظر مرة أخرى إلى الرسالة التي وصلته على أسورة هاتفه وتقول: وجدنا الهدف. وتأكد أنّها أرسلت من مكان بالقرب من موقعهم الحالي، ثمّ حدّث نفسه: إذاً هم لا يخدعونني لكن هذا غريب إذا كان ما أظنه صحيحاً فلا بد أنّ هذا المكان هو الموقع المنشود فعلاً.

التفت إيلان نحو إيدي قائلاً: أرسل لي بعض المعلومات عن هذا المكان ومعلومات عن حضارة المايا لأقارنها بالمخطوطات التي معي.

التمعت عينا إيدي مرة أخرى التي تدل أن برنامج الذكاء الصناعي يبحث الآن عن المعلومات، ثمّ أرسل رسالة إلى أسورة هاتف إيلان بها المعلومات التالية:

تقع دولة بيرو في غرب أميركا الجنوبية، يحدها من الشمال الإكوادور وكولومبيا ومن الشرق البرازيل وبوليفيا ومن الجنوب تشيلي ومن الغرب المحيط الهادي.

العاصمة: ليما اللغة: الإسبانية

تضم قمم جبال الأنديز والغابات الاستوائية في حوض الأمازون.

حضارة المايا

كانت المايا عبارة عن مجموعة من دول المدن، كل منها يحكمها الملوك والكهنة. قاموا ببناء أهرامات ضخمة من الحجر الجيري، كانت بمثابة معابد لآلهتهم. كان الدين في مركز ثقافتهم وكان يملأ كل جانب من جوانب الحياة اليومية. مارسوا الذبائح في المعابد لإرضاء الآلهة، بما في ذلك القرابين البشرية! وشملت المدن أيضاً القصور والمنازل.

حضارة المايا قضي عليها بالفعل بسبب انفجار بركاني مروع، وأعلن علماء الآثار أنّ شعب المايا أُبيد عندما اندلع بركان إيلوبانجو، ومن المعروف الآن أنّ هذا الثوران البركاني دمر كل شيء في البلاد، ولا يعلم حتى الآن سببه، حيث لم يكن هناك أي مصدر أو دليل على أنّ هناك بركاناً خامداً في هذه المنطقة، وحدث الانفجار البركاني بغتة بدون أي مقدمات.

بعد ما انتهى إيلان من قراءة الرسالة ابتسم وقال: نعم هذا ما أردت سماعه كل المعلومات عن هذه الحضارة تؤكد أنني أسير في الاتجاه الصحيح، وأنّ

السكان القدماء لهذه المنطقة قد علموا بطريقة ما سر اللعنة ونقلوها من أرض مصر، ولذلك بنوا الهرم خصيصاً ليستطيعوا استخدامها، أتمنى أن أجد هذه اللعنة في هذه المقبرة، سيكون هذا أكبر نصر لي في حياتي كلها

ثم جاءه إشعار آخر على سوار يده يفيد بورود اتصال ما.

ضغط إيلان على الموافقة ليتحدث أحدهم بصوت أجش فيه لكنة فرنسية قائلاً: كيف حالك يا سيد إيلان هل وصلت إلى المكان الذي حددته لك في الرسالة؟

رد إيلان: نعم يا ليو دعني أرى الآن المشهد حولك حاول أن تحرك الكاميرا أيضاً بشكل عمودي كي أشاهد جميع الأبعاد للمكان.

قام ليو بتنفيذ ما طلبه إيلان ليشاهد عن طريق خاصية البث الحيّ ثلاثي الأبعاد مسحاً شاملاً للمكان الذي سيقومون بالتنقيب فيه للبحث عن المقبرة المنشودة.

- قال إيلان: حسناً هذا يكفي.

- سأله ليو: هل ستأتي الآن؟ نحن جاهزون للبدء في العمل.

- قال إيلان: لا، سأذهب إلى الفندق أولاً وأبتاع بعضاً من الأدوات من على موقع شركتي للأجهزة الحديثة وأحضرها معي، فيبدو أنّ هذه المقبرة محصنة جداً، وستكون صعبة في التنقيب وبالتأكيد يوجد بها فخاخ مميتة عديدة، فهي من نوع المقابر السوداء التي تحميها لعنات وتعاويذ وموانع لإبعاد

المتطفلين عنها، لكنّني أحذركم يجب أن تنتظروا لا تبدؤوا العمل قبل أن آتي إليكم.

- قال ليو: عُلِمْ يا سيدي طلباتك هي أوامر لي.

أغلق إيلان الاتصال، ثمّ قال: هيا يا إيدي لنذهب لأقرب فندق.

وانطلقت السيارة إلى فندق يبدو بسيطاً، لكنّه الأقرب لموقعهم، ثمّ قام إيلان بإرسال أمر شراء وإحضار جهاز أشعة إكس وجهاز ماسح بالسونار على شكل قلم، وأصابع ديناميت متفجرة وأسطوانات أكسجين للتنفس تحت الماء، وبدل للغوص وعمود فولاذي مضغوط.

بعد ساعتين وصلت الطلبية عن طريق الشحن الجويّ من أقرب منفذ بيع لشركة إيلان للتكنولوجيا الحديثة بدولة بيرو.

ثمّ استقل السيارة الكهربائية مع إيدي وتوجها إلى المكان المنشود.

كان موقع المقبرة عبارة عن كهف داخل جوف هضبة منخفضة، تغطيها أشجار كثيفة جدّاً تحت إحدى روافد مياه نهر الأمازون التي تمر فوقهم.

ارتدى إيلان بدلة الغطس، وأمسك بأسطوانة الأكسجين وطلب من إيدي أن يحمل الحقيبة الضخمة المصنوعة من مادة مقاومة للماء وتحتوي على الأجهزة ذات الوزن الكبير التي اشتراها على ظهره، وينزل معه تحت سطح نهر الأمازون ويتبعه.

حيث إنّ إيدي مصمم أيضاً للغوص تحت الماء، وحمل أثقال تصل إلى مائتي كيلو جرام بدون أي مشاكل في نظام التشغيل الخاص به.

عندما وصل إيلان وإيدي، خلع إيلان بدلة الغوص، وكان في انتظارهما ليو وثلاثة من المرافقين عند مدخل الكهف الذي به إضاءة خافتة زرقاء، لكنّها كافية للرؤية بوضوح وهناك رائحة العطن تسيطر على الهواء المحيط في الجوّ وأمامهم ما يبدو وكأنّه بابٌ كبيرٌ قديمٌ مرسومٌ عليه نقوش وكلمات غريبة طوله يصل إلى ثلاثة أمتار وعرضه حوالي المترين، مغطى بالطحالب وله مقبض ضخم.

- قال ليو: أهلاً بك يا سيدي، أعتقد أنّنا على بعد أمتار قليلة من تحقيق اكتشاف أثري ضخم، فنحن أول من يصل إلى هنا منذ ثوران البركان منذ ألف وخمسمائة عام، واندثار تلك المدينة تحت الرماد، لكنّني أعتقد أنّ انهياراً أرضياً قد حدث بعدها وغرق هذا الجزء تحت المياه.

- قال إيلان: حسناً دعنا لا نضيّع وقتنا، هل قمتم بما أمرتكم به وأشعلتم النيران حول المكان لخنق وقتل الحشرات السامة الموجودة بالكهف بدخان النيران.

- قال ليو: نعم يا سيدي لا تقلق، لقد نفذنا ما قلته بالأمس، وجمعنا مئات من الحشرات الغريبة الميتة ووضعناها خلف تلك الصخرة هناك إذا كنت تريد أن تلقي نظرة عليها.

- قال إيلان: بالطبع أريد أن أراها.

وذهب إيلان إلى مكان الصخرة التي يوجد خلفها الحشرات الميتة، ولاحظ أنّ جميع الحشرات كما كان يتوقع من النوع السام والخطر الذي قام السكان

القدماء بتوفير الظروف له ليعيش ويتزاوج ويتناسل على مدار آلاف السنين لمهاجمة وقتل أي غريب يحاول اقتحام المكان.

إنّ لدغة واحدة من إحدى هذه العقارب أو الديدان الميتة قادرة على قتل إنسان بالغ خلال ساعة واحدة إذا لم يأخذ المصل المناسب.

توجه إيلان ناحية جدران الكهف ووجد عليها نقوشاً وكلمات غريبة لا بد أنّها بلغة شعوب المايا القديمة، وحاول أن يفك طلاسمها، لكن لم يستطع فنادى على إيدي الذي جاء وأمره أن يلتقط صوراً لهذه النقوش ويقوم بمعالجتها بالذكاء الصناعي لفك طلاسمها، وبعد قليل وصل تنبيه بوصول رسالة إلى سوار إيلان الذي قرأها، لقد كانت رسالة مليئة بالتهديد والتحذير من دخول المقبرة وأنّ من سيدخلها سيتعرض إما لطحن جسده بالجدران المتحركة أو الغرق أو الموت بالخوازيق المعدنية من تحت الأرض، أو من الثعبان الأسود الذي يحميها، لا ينكر إيلان أنّه أحسّ ببعض القلق، لكنّ رغبته الشديدة في الدخول للمقبرة للحصول على ما يريد كانت أقوى بكثير.

وعندما سأله ليو عن تفسير هذه الكلمات، اكتفى بالقول إنّها بعض الهراء والخرافات بدون معنى كي لا يثير الخوف بداخله وبداخل مرافقيه ويتراجعوا عن مساعدته لفتح المقبرة، لذا توجه ناحية الباب الضخم مباشرة الذي نقشت عليه ثلاث كلمات فقط باللغة الأزتكية ومعناها "الجحيم خلف الباب".

أمر إيلان فوراً أن يبدؤوا بدفع مقبض الباب لفتحه، وحاول الرجال الأربعة بكل قوتهم لكن دون جدوى، التفت إيلان نحو إيدي وأشار له أن يتوجه إلى الباب لفتحه بقوته التي تساوي قوة مائة رجل بالغ.

إنّ أفراد حضارة المايا توقعوا أن يأتي لص أو اثنان أو حتى عشرة لفتح الباب؛ لذلك تم تصميم حجمه ووزنه لمنع ذلك، كي يقاوم قوتهم عند محاولة دفع الباب العملاق، لكنّهم لم يصمموه لمقاومة مائة رجل، فلم يظنوا أبداً أنّ الكهف سيتسع لهذا العدد أبداً كما أنهم لم يخطر على مخيلتهم أنّ بعد آلاف السنين سيتم اختراع روبوت مزود بالذكاء الصناعي ولديه قوة جبارة كقوة مائة رجل.

وعندما همّ إيدي بفتح الباب، أمره إيلان أن يتوقف، حيث طلب أولاً من الكل أن يرتدوا أقنعة تنفسيّة تمدهم بالهواء النقي من أسطوانات الهواء التي أحضرها؛ لأنه متأكد أنّ الهواء خلف الباب سيكون مسموماً ومليئاً بالغبار، لأنّ المكان مغلق منذ مئات السنين. ارتدى الجميع الأقنعة وبدأ إيدي بالدفع على مقبض الباب بقوة حتى بدأ يُفتح شيئاً فشيئاً، وانطلق كما توقع إيلان تيار هواء بارد به غاز مسمم لونه أخضر من شدة سميته بجانب سحابة من الغبار.

انتظر الجميع حتى خرجت سحابة الغبار وعاد لون الهواء إلى شكله الطبيعي تدريجياً.

ثمّ انطلق الفريق بعدها إلى الداخل يتقدمهم بالطبع الروبوت إيدي وخلفه إيلان، ثمّ باقي الفريق.

ظهر أمامهم ممر طويل يبدو في نهايته باب سرداب آخر، طلب إيلان من الجميع أن يمشوا صفاً واحداً خلف إيدي ولا يتخطاه أحد.

وقد كان كلامه صحيحاً تماماً، فبعد عدة خطوات كان هناك خيط رقيق مشدود على ارتفاع منخفض بمجرد أن اصطدمت قدم إيدي به وقطعته، انطلق سيل من السهام المميتة إلى صدر إيدي المصفّح، وبفضل ضخامة حجمه تلقاها كلها وحمى كل من هو خلفه، ولم يصب سوى ببضعة خدوش على جسده المصفح.

سهم واحد فقط نفذ إلى ناحية إيلان، لكنّه استطاع أن يتفاداه، وأصاب أحد الرجال الذين كانوا خلفه، وأطلق صرخة ونزفت منه بعض الدماء، لكن لحسن حظه كانت الإصابة في كتفه، وأنّه على الأقل لم يمت. قال إيلان في صوت عالٍ بحزم: انتبهوا جميعاً، وخذوا حذركم، لقد انتهى وقت اللعب ودخلنا منطقة الخطر.

استكمل الجميع طريقهم إلى باب السرداب، لكن سمعوا صوت حركة غريبة من الجدران وكأنها تحتك ببعضها البعض، ثمّ بدون مقدمات نزل من السقف جدار رأسيّ أغلق السبيل إلى العودة إلى باب المدخل الذي جاؤوا منه، مما أثار الرعب خاصة في المرافقين حتى صرخ أحدهم أنه لا يريد إكمال المهمة.

نظر إيلان إلى ليو نظرةً، تحرك ليو على إثرها وتوجه ناحية هذا المرافق وأمسكه من ياقة قميصه بقوة وقال بصوت قوي: اهدأ أيها الجبان لن يفيد الصراخ بشيء، لقد بدأنا شيئاً لا يمكن أن ننهيه بإرادتنا وسنكمله حتى النهاية، وليس لنا خيار آخر سوى التقدم، فلقد أغلق علينا باب العودة.

هدأ المرافق قليلاً، وسكت عن الصراخ، لكنّ الرعب والإحساس بقرب الموت ما يزالان يعتصران قلبه، فأكمل الطريق مع باقي الفريق ويداه ترتعشان من الخوف، ولا بد أن باقي جسده تحت ملابسه يرتجف أيضاً.

بعد عدة خطوات أخرى سمعوا الصوت نفسه يتكرر وباب آخر حجري يسقط من السقف ويسد الممر خلفهم، ولكنّ الصوت لم يتوقف بعدها كما في المرة الأولى، بل استمر صوت احتكاك الجدران ببعضها شيئاً فشيئاً وزادت قوته ورأى إيلان جدران الممر على الجانبين تتزحزح شيئاً فشيئاً ناحيتهم؛ لتسحقهم وتطحن أجسادهم.

ظنّ إيلان أنّه يتخيّل ما يرى بسبب الضغط العصبيّ المحيط بالموقف، لكنّه عندما نظر لوجوه مرافقيه وجدهم قد فتحوا أفواههم من الدهشة وارتسمت على وجوههم نظرات الرعب الشديدة وكأنّهم أطفال يشاهدون أسوأ كوابيسهم المرعبة تتحقق على أرض الواقع.

قام إيلان بالتحرك بسرعة لأنّه كان قد تحسب لمثل هذا الموقف نظراً لخبرته العميقة في التنقيب والبحث عن المقابر، فلقد تعرض أحد فرق التنقيب المملوكة له لمثل هذا الموقف من قبل في مقبرة في الصين، ولحسن

حظه لم يكن برفقتهم وقتها فلقد هرستهم الجدران ولولا الكاميرا المثبتة على حقيبة أحدهم ما كان سيرى المشهد المقزز الذي حدث، حيث تتفتت عظامهم ولحومهم ببطء نتيجة ضغط الجدران على أجسادهم وعظامهم بقوة ضغط هائلة.

لذا من وقتها نجح في تصميم جهاز عبارة عن عمود فولاذي قطره خمسين سنتيمتراً من التيتانيوم المطعم بالماس ليضعه بين الجدران ليوقف تحركها حيث يستطيع هذا العمود أن يتحمل ضغوطات هائلة من الكتلة دون أن ينكسر، وقد كان اخترعه وقدّمه في أحد العروض العام الماضي، ولكن بسبب ضخامة حجمه كان قد قسمه إلى جزْأَين يقوم بوصلهما ببعضهما البعض ليسهل حمله معه أينما رحل في حقيبة على ظهر إيدي.

لذا طلب من إيدي فوراً أن يخرج الجزأين ويقوم بوصلهما معاً بسرعة، لكنّ حركة الجدران نحوهم بدأت تزداد سرعتها، فأيقن إيلان أنّه ليس هناك وقت لتركيب القطعتين لاستخدام القضيب وأمر إيدي أن يترك مهمة تركيب جُزْأَي العمود المعدني المطعم بالصلب والألماس له، وأن يقوم إيدي بمحاولة تأخير انطباق الجدران عليهم عن طريق أن يضغط في اتجاه عكس حركة الجدران نحوهم بكلتا يديه على الجدران رغم إدراكه أنّ هذا قد يؤدي إلى حدوث تلف في الروبوت إيدي لأنّ قوته لا تستطيع مجابهة قوة ضغط الجدران الكبيرة.

وأخذ العرق يتصبب من على جبين إيلان وهو يحاول العمل بأقصى سرعة ممكنة لتركيب القضيب المعدني وهو يشعر لأول مرة من داخله بالخطر الشديد، أما باقي الفريق فقد كانوا في حاله يرثى لها من الاستسلام والجزع، لقد تجمدت الدماء في عروقهم وتوقفت عقولهم عن العمل، وأصبحت نظراتهم خاوية لتخيلهم بشاعة منظر الميتة التي ستصيبهم بعد قليل.

وبدأ ساعدا الروبوت إيدي بالاهتزاز بقوة من شدة ضغط الجدران عليها، وكادت تنكسر لولا أنّ إيلان استطاع أخيراً أن ينتهي من تركيب القضيب المعدني ووضعه بشكلٍ عرضيّ بين الجدارين ليحدث صوت صرير قوي حتى توقفت الجدران عن الحركة تماماً.

سقط إيلان على الأرض مباشرة بعدها من شدة التعب والضغط العصبي المصاحب للموقف، وأخذ يتأمل السقف لدقائق وصدره يعلو ويهبط بقوة محاولاً الحصول على أكبر قدر من الأكسجين للتنفس، ثمّ أخذ يحدّث نفسه بحتمية أن يهدأ ويتمالك أعصابه بسرعة أمام باقي الفريق حتى لا يزيد اعتراضهم على استئناف المهمة من الخوف الذي أصابهم مما شاهدوه حتى الآن.

فقام منتفضاً وقال في لهجة الأمر العسكري: هيا بنا نكمل مهمتنا، فالوقت يداهمنا، لكن لم يتحرك أحد من مكانه، فما زالوا تحت تأثير حالة الصدمة الشديدة مما جعل إيلان يصرخ فيهم بقوة لتحفيزهم على الاستمرار، وأخذ زجاجة مياه ورمى ما بها في وجوههم ليفيقوا فانتبهوا له، وقال في

محاولة لطمأنتهم: لا تقلقوا... فمسألة التنقيب عن الآثار لم تعد صعبة كما كانت بالماضي، فأنا الآن أمتلك أحدث الوسائل التكنولوجية والآلات الحديثة التي أحضرتها معي ستمكننا من الوصول إلى هدفنا، وكما رأيتم حتى الآن لم يستطع هزيمتنا أي شيء ولم نقع فريسة لأي فخ.

- قال ليو: نعم يا سيد إيلان لكن لم نكن نعرف بمدى الخطورة التي سنتعرض لها هنا، لقد ظننا أنّ المقبرة ستكون مثل أي مقبرة سبق لنا التنقيب عنها وسرقتها من قبل، لكن هذه المقبرة مختلفة تماماً، أنت لم تخبرنا عن حقيقة ما سنواجهه هنا ولو عرفنا منذ البداية ما دخلنا معك إلى هذا الجحيم.

- قال إيلان: لم يعد لكم خيار آخر سوى الاستمرار، حيث لدينا فرصة أن نخرج من هنا إذا أكملنا الطريق، أما في حالة إصابتنا بالإحباط وانتظارنا هنا لأي نجدة، فلا يوجد أي أمل لنا، فالحقيقية هي لا توجد مساعدة ستأتي من الخارج، نحن على عمق مائتي قدم تحت سطح البحر في مكان مظلم.

وفوق السطح تغطي غابات الأمازون الكثيفة الموقع، ولا توجد أي إشارة يمكن أن تصل إلى أي طائرة إنقاذ تمر فوق المكان، لن يرونا ولن يعلموا شيئاً عنا أبداً.

وكما رأيتم منذ قليل لقد أغلقت جميع المنافذ التي دخلنا منها بجدران إسمنتية صلبة.

لكن أقول لكم مجدداً: لا تيأسوا فمعنا إيدي الروبوت العظيم الذي رأيتم كيف أنقذنا من أشد المخاطر التي واجهناها إلى الآن.

وأريد أن أبشركم كل فرد منكم سيكمل المهمة معي فأنا أعده أنه سيحصل على مائة مليون دولار مكافأة له، وأعطيه منصباً كبيراً في إدارة شركاتي ونصيباً من الأرباح السنوية.

سكت الجميع قليلاً، وأخذوا بالتفكير في كلام إيلان، يبدو فعلاً أنّ كلامه صحيح وليس لديهم خيار آخر سوى استكمال المهمة، فقرروا بالإجماع أن يستجيبوا إلى طلبه وأن يستأنفوا المسير معه.

- صاح أحدهم: يا سيد إيلان، صديقنا جون الذي أصيب بالسهم يبدو عليه الإعياء، وبدأ جسده يزداد سخونة، ويشعر بالضعف بسبب كثرة الدماء التي فقدها من الجرح الذي أحدثه فيه السهم.

- قال إيلان ببرود شديد: اتركوه هنا.

- قال ليو: لكن يا سيدي كيف نتركه؟ إنه مساعدي الأول في الفريق وأعتمد عليه في كل شيء فهو أقدم أعضاء فريقنا والأكثر خبرة ومهارة في التنقيب عن المقابر.

- قال إيلان في حزم: إنّ وجوده معنا سيبطئ حركتنا كثيراً، مما يجعل فرصتنا في النجاة تقل لأنّ الأكسجين بدأ بالنفاد من الكهف.

الخيار لكم هل نتركه ونستكمل مهمتنا أم نأخذه معنا ويكون عبئاً كبيراً، وتقل فرص نجاتنا كلنا بسببه؟

أطرق الجميع بنظرهم إلى الأرض وعندما رأى إيلان ترددهم بادر هو وإيدي واستكملا المسير وبعد قليل نظر خلفه، فوجدهم كلهم يتبعونه وقد تركوا جون المصاب خلفهم، فابتسم ابتسامة انتصار خبيثة.

عندما اقتربوا من باب السرداب طلب إيلان منهم أن يتوقفوا وقام بإخراج جهاز مربع الشكل من الحقيبة التي يحملها إيدي ورفع هوائي الاستشعار به وضغط على زر التشغيل وبعد دقائق أحدث الجهاز صوت أزيز وأضاءت على شاشته عدة نقاط متفرقة، فسأله ليو:

- ما هذا الجهاز وماذا تعني هذه النقاط المضيئة به يا سيدي؟

- قال إيلان: هذا جهاز سونار يكشف عما وراء الجدار عن طريق إرسال موجات عبره وعندما تصطدم بشيء خلفه تعود لمستشعر الاستقبال الذي يرسل تردد الشيء إلى وحدة المعالجة لتبين ما طبيعة هذا الشيء خلف الجدار.

- قال ليو: فهمت، لكن ما الشيء الذي اكتشفه الجهاز وراء الجدار؟

- قال إيلان: أحجام هائلة من الماء على بعد خمسة أمتار وتحليلي الشخصي أنّ الغرفة خلف السرداب ستكون عبارة عن مكان أجوف فارغ به فتحات مغلقة تتصل بنهر الأمازون وبمجرد دخولنا إليه ستفتح لتنهمر المياه علينا وتقتلنا غرقاً، لكن لا تقلقوا لقد أحضرت بدلات وأسطوانات أكسجين ولحسن حظنا أن عددها يكفي لنا بالضبط، لذا قرار تركنا لجون كان صحيحاً وهذه إشارة من السماء أننا فعلنا الصواب.

ثمّ أمر إيدي أن يبدأ بتوزيع الأسطوانات وزي الغطس على أفراد الفريق، وبادر الكل بارتدائه ثمّ سأل ليو وكيف تعمل هذه الأسطوانات؟

قال إيدي: ليفتح كل منكم الصمامات التي بالجانب الخلفي للأسطوانة لتبدأ بملء نفسها تلقائياً بالهواء.

اتبع الجميع تعليمات إيلان وبدأت الأسطوانات في ضخ الأكسجين إلى أنبوب خاص مرفق بها، ثمّ قام إيلان بارتداء بدلة الغطس مرة أخرى، وضغط على زر الأسطوانة الخاصة به لكن لم يحدث شيء.

توتر إيلان قليلاً، فلا بد أن أسطوانته التي اختارها هذه المرة قد أصابها العطب ولن تعمل، وفكر فيما يجب أن يفعل، ثمّ نادى على ليو وأخبره بالمشكلة، ذهل ليو، ثمّ قال: وماذا سنفعل يا سيدي؟

- قال: اطلب من رجالك أن يعطوني أحد أسطواناتهم.

- رد ليو في استغراب: كيف يا سيدي؟ بالتأكيد لن يوافق أحد أن يضحي بحياته من أجلك ويعطيك الأسطوانة الخاصة به.

- غضب إيلان وقال في شدة: هل أنت أحمق يا ليو بدوني لا توجد عملية ولا يوجد أي أمل لكم بالنجاة يجب أن تنفذ ما أقول حتى لو اضطررت لاستخدام القوة.

- فكر ليو قليلاً ثمّ قال: حسناً يا سيدي، دعني أتصرف، ثمّ ذهب ونادى على سميث ومايكل مرافقيه، وطلب منهما أن يأتيا معه إلى مكان بعيد عن صديقهم الثالث فريد كي لا يسمع ما يدور بينهم.

ثمّ أخبرهم بالموقف وأمرهم أن يهجموا على فريد وينزعوا عنه أسطوانته ويربطوه بالحبال حتى لا يقاومهم.

لكن فوجئ ليو أنّ مايكل صاح غاضباً بصوت عالٍ: لا لن أفعل ذلك لن نضحي بفريد كما ضحينا بجون من أجل هذا المتعجرف إيلان.

سمع إيلان وفريد ما يقوله مايكل وعلم إيلان أن مشاكل كبيرة ستحدث الآن وقام فريد بالذهاب إلى مايكل وقال: ماذا تقول يا مايكل أخبرني ماذا يعني كلامك هذا؟

قال مايكل: إنّ ليو يأمرنا أن نهجم عليك ونوثقك بالحبال وننزع أسطوانة الأكسجين عنك بالقوة ونعطيها للسيد إيلان، لأنّ الأسطوانة الخاصة به بها عطب، ونتركك هنا لتلقي مصيرك كما فعلنا بجون المسكين.

غلى الدم في عروق فريد الذي أسرع ولكم ليو بقوة وحاول سميث أن يمسك بفريد لكن هاجم مايكل بدوره سميث ودارت معركة قوية بينهم وإيلان يشاهد ما يجري في صمت مريب.

ثمّ أعطى إشارة لإيدي ليتحرك، وقام إيدي بإمساك فريد الذي كان منهمكاً في توجيه اللكمات إلى ليو، وقذفه بعيداً عنه حتى اصطدم رأسه في إحدى الصخور وأغمي عليه، وانتبه مايكل لما حدث وقام مسرعاً لمهاجمة الروبوت إيدي، وفي يده سكين، لكن إيدي أمسك يده التي بها السكين واعتصرها، وصرخ مايكل في قوة، ثم قام إيدي بإمساك مايكل من رقبته ورفعه إلى الأعلى وهو يختنق بسبب قوة قبضة إيدي وهو يحاول التملص

منه والمقاومة بلا جدوى وسط نظرات ذهول من الجميع، ثمّ نظر إيدي إلى إيلان الذي أشار له برأسه إشارة قام إيدي بعدها بالضغط بقوة أكبر على رقبة مايكل حتى سمع الجميع صوت عظام رقبته وهي تتكسر، وتوقف عن الحركة وخمد جسده إلى الأبد، ثمّ رمى إيدي بجسده بعيداً.

ساد صمت رهيب لثوانٍ، ثمّ قال إيلان مازحاً بمرح: هذا عظيم، أصبح لدينا الآن أسطوانة أكسجين زيادة عن الحاجة، وأصبحنا أخف في الحركة، ثمّ أمر ليو وسميث بالإسراع للحاق به بعد أن أخذ أسطوانة الأكسجين التي أرادها.

وكان ما توقعه إيلان صحيحاً، فبمجرد فتحهم باب السرداب وجدوا مكاناً أجوف خالياً كأنه حوض كبير، وبعد عدة خطوات نزلت كميات كبيرة من المياه من فتحات في السقف، وأخذ مستوى الماء يرتفع حتى غمرهم جميعاً بعد مرور خمس دقائق فقط.

أشار إيلان للفريق بيده لكي يتبعوه حتى وصلوا إلى جدار عليه رموز وحروف بلغة أهل الإنكا القديمة تقول: اتجه حيث يقول الهرم.

جنّ جنون إيلان فهو لا يجد أي أهرامات موجودة بالمكان، وهذا بالطبع لغز آخر، لكنّه وزملاؤه في وضع لا يسمح لهم بالتفكير في حل أي ألغاز إضافية.

أخذ إيلان يسبح ويدور في حلقات بحثاً عن الهرم المقصود، وخلفه باقي الفريق وهم لا يعلمون لماذا يفعل إيلان ذلك، ولسوء حظه للمرة الثانية

يبدو أنّ هناك تسريباً حدث في أسطوانة الأكسجين الخاصة به، لكنّه الآن لا يستطيع فعل شيء، فهو تحت أعماق المياه، ولا يستطيع أن يأمر إيدي بالهجوم على سميث أو ليو ليأخذ منهما أسطوانة الأكسجين الخاصة بهما، وحتى لو فعل لن يستطيع تركيبها وسط المياه.

قرر إيلان أن يتوقف عن الدوران ويتوقف عن بذل أي مجهود حتى لا ينفد ما لديه من الأكسجين بسرعة، ويعطي نفسه أكبر وقت ممكن على قيد الحياة حتى يجد هذا الهرم المنشود، وأرخى إيلان عضلات جسده وتوقف عن الحركة حتى بدأ جسده يهبط قليلاً شيئاً فشيئاً إلى قاع الغرفة، وزملاؤه مندهشون لا يعرفون ماذا يحدث.

وعندما اقترب إيلان جداً من الأسفل وجد أن أرضية القاع على شكل مثلث أحد رؤوسه ذات لون فسفوري مميز التمع في ذهن ليو فكرة جعلته يضطرب فرحاً، إنّ هذا المثلث هو أحد جوانب الهرم المقصود وإنّ رأسه المضيئ يشير إلى الاتجاه الذي يجب أن يبحث فيه عن المخرج.

وبالفعل لم يضع وقتاً فلن يخسر شيئاً إذا ما جرب فهذا هو أمله الوحيد.

وأخذ يتتبع المسار في هذا الاتجاه صعوداً حتى وجد كوّة مخفية بين جدارين تقوده لأعلى ممر ضيق كالمدخنة، فذهب إليها ودخل من خلالها، واستمر في الصعود وزملاؤه يتبعونه حتى شاهد في نهاية هذا المسار ضوءاً، فاهتز فرحاً لأنّه تأكد أنّ هذا هو الطريق المنشود.

وعندما وصل وجد أن المياه انتهت هنا، وتسلّق باقي الممر الذي أفضى به إلى غرفة أخرى كبيرة وواسعة بها تابوت ضخم أسود اللون مرصع بالمجوهرات، عليه كتابات بلغة المايا القديمة مطلية بالذهب.

عندما وصل باقي الفريق شاهدوا إيلان ينظر ويتأمل بإعجاب شديد التابوت، وتظهر على وجهه فرحة لم يسبق أن شاهدوها من قبل.

- فسأله ليو: هل وصلنا يا سيدي إلى الهدف؟ هل هذا التابوت المنشود الذي يحتوي على الشيء الذي تبحث عنه؟

- قال إيلان مبتسماً: نعم يا ليو، لا يفصلنا عن المجد إلا هذه الخطوات التي بيننا وبين فتح هذا التابوت، ثمّ أشار إلى الأعلى حيث يوجد سلالم حجرية تؤدي إلى فتحة تدخل أشعة الشمس إلى المكان من خلالها، وقال: وهذا هو منفذنا إلى العالم الخارجي مرة أخرى، حيث سنولد من جديد بعد هذا الجحيم.

اقترب إيلان من التابوت يتحسس كل موضع فيه، ويتفحصه ولاحظ وجود نقش على الجزء السفلي منه، فجلس القرفصاء يتفحص الكتابة.

كانت خليطاً من لغة الإنكا ولغة المايا معاً، حاول فك طلاسمها وعندما نجح في ذلك اختفت الابتسامة قليلاً، وبدا كأنه يفكر في شيء ما حتى قال له ليو وهو قلق بعد أن لاحظ ذلك:

- ماذا هناك يا سيدي هل توجد مشكلة؟

- رد إيلان: نعم توجد مشكلة لكنّني وجدت الحل الآن. وكان إيلان يعطيهم ظهره، وهو جالس في وضع القرفصاء، ثمّ انتفض فجاة والتفت بكامل جسده في مواجهتهم وأخرج مسدساً كان يخفيه معه، وأطلق رصاصة مباشرة في منتصف رأس سميث الذي سقط على الفور وعيناه جاحظتان، وتبدو عليهما نظرة استفهام عن سبب فعل إيلان الوحشي هذا؟

تسمّر ليو في مكانه يبدو عليه الدهشة والحيرة وبدأ في سؤال نفسه: هل الدور القادم سيكون من نصيبه، ويطلق إيلان عليه الرصاص أيضاً؟ هل لا يريد أن يفي بوعده ويعطيه المائة مليون دولار التي وعدهم بها إذا أكملوا اكتشاف المقبرة معه؟ لكن إيلان الأموال لا تعني له شيئاً فلديه الأطنان منها كحبات الرمال في الصحراء، فلماذا قتل سميث إذاً؟

علم إيلان بما يدور في ذهن ليو وطمأنه:

- لا تقلق يا ليو، لن أطلق النار عليك، فأنا لم أجن بعد، وقد أحتاجك في عملية أخرى، لكنّ التابوت مكتوب عليه يجب أن نقوم بالتضحية بروح طفل كي ينفتح، ولأنّنا لم نستعد لذلك ولم نجلب طفلاً معنا للتضحية به، فلا بأس أن نجرب التضحية بدماء سميث، فلم نقطع كلّ هذه المخاطر والمسافات من أجل اللا شيء.

كان رد إيلان أغرب ما سمع ليو، لكنّه لا يأبه لذلك ولا يهمه إذا ضحى إيلان بكل سكان العالم المهم أنه يحافظ على رقبته وحياته ويحصل على مكافأته.

أمر إيلان إيدي أن يفتح التابوت، فاقترب إيدي من غطاء التابوت، وحاول فتحه بيد واحدة نظراً لثقته المفرطة بقوته، لكن لم ينفتح الغطاء، تعرّق جبين إيلان، لقد بدأ يشعر بالقلق يبدو أنّ التضحية بسميث لم تكن ذات جدوى، وأنه كان لا بد من خطف أو شراء أحد الأطفال من أحد دور الأيتام للتضحية به.

طلب إيلان من إيدي أن يزيح الغطاء بكل قوته بكلتا يديه.

ونفذ إيدي ما طلب ولكن بدون أي استجابة، ثمّ بعد دقائق من المحاولة بدأ الغطاء يتزحزح قليلاً، فتهللت أسارير إيلان حتى أزاح إيدي الغطاء كاملاً، وظهر بداخل التابوت حجر أبيض اللون منقوشة عليه بضع كلمات قليلة.

نظر ليو إلى وجه إيلان، فقد ظنّ أنّ كلّ مجهودهم ذهب هباءً، فلقد توقع أن يجدوا مومياء ذهبية أو مجوهرات وأحجار كريمة أو أي شيء له قيمة، ولكن ليس مجرد حجر قديم أبيض خاصة وهو متأكد أنه لم يسبق للصوص المجيء إلى هذا المكان، بل هم أول من يأتي إلى هنا منذ قرون، فهذا التابوت لم يفتح من قبل.

لكن على العكس كان إيلان شديد السعادة إلى درجة لا يكاد يصدق أنه بالفعل وجد هذا الحجر الأبيض، كم كان هذا غريباً لا بد أن قيمة هذا الحجر في الكلام المنقوش عليه.

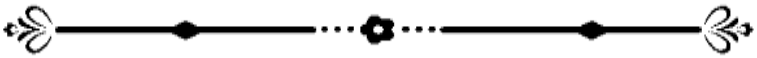

حمل إيلان الحجر، وبدأ يقرأ الكتابة المنقوشة عليه التي تقول: "اللعنة مدفونة عند بيت الكاهن الأكبر"، وهناك رسمة هرم أسود اللون بجانب الكلمات.

شعر الجميع وكأنّ هناك زلزالاً ما يضرب المكان وتزداد قوته بسرعة.

صرخ إيلان بقوة اهربوا وانجوا بحياتكم، إنّها مقبرة الموت الأسود، ثمّ ركض وتبعه الروبوت إيدي خلفه مباشرة وليو أيضاً نحو السلالم ليخرجوا من المنفذ وعندما اقترب إيلان من الخروج من المنفذ سقط عليهم جميعاً سقف المقبرة ودفنتهم الصخور تحتها، وإيلان يردد الجملة نفسها: "إنها مقبرة الموت الأسود" حتى انقطع صوته تماماً.

الفصل الرابع

عطر الخيانة

تصادق مع الذئاب.. على أن يكون فأسك مستعداً.

مصر ٢٠٥٥

لو خيروني بألف من الرجال من هم أغنى وأوسم منك ما اخترت إلا أنت.

كان هذا ما يدور في رأس هالة، الأستاذ المساعد في كلية الآثار جامعة القاهرة وهي تنظر بعينين تفيضان بالحبّ والعشق والفخر والإعجاب إلى الدكتور ظافر، كبير الأساتذة ورئيس قسم المصريات وعلم الآثار الفرعونية بالجامعة نفسها، الحاصل على عدة جوائز دولية في البحث العلمي في المجال نفسه، والدكتوراه الفخرية والشرفية والتكريمات من أرقى جامعات العالم مثل: كامبريدج في بريطانيا، وجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وجامعة جوهانسبرج بجنوب أفريقيا، وغيرها.

يعتبر دكتور ظافر أعلم أهل الأرض في علم المصريات في عصره إن جاز التعبير، وأشهرهم في هذا المجال بلا منازع، تصدّر وجهه الوسيم غلاف مجلات علمية وغير علمية كثيرة حتى مجلة التايمز البريطانية غير المتخصصة بسبب إجراء المجلة لقاء صحفياً معه، تصدرت عناوينه أولى

صفحاتها حيث الغرب هناك مهووس بالحضارة المصرية الفرعونية وأسرارها التي لا تنتهي.

أخذت هالة تتأمله بتركيز كبير، وهو في كامل أناقته وجاذبيته، وعلى الرغم من بلوغه الخامسة والثلاثين وظهور بعض من الشعرات البيضاء على جانبي سوالفه.

لا يظهر عليه العمر وكأنه شاب في الخامسة والعشرين في قمة حيويته، بشعره الكثيف الناعم الذي قام بتهذيبه إلى الجانب الأيمن وابتسامته الساحرة وطوله الذي أعطاه هيبة وهو يمشي أو يتحرك، فهو ليس من نوع العلماء الذي ترى الواحد منهم أشعث الشعر مهترئ الملابس، بل كان يهتم بمظهره، بشكلٍ ملفتٍ وكأنّ عمله الأساسي عارض أزياء وليس عالماً ودكتوراً جامعياً.

كانت تتغزل في ملامحه وهو منغمس في حماسٍ ونشاط في إلقاء محاضراته إلى الطلاب الذين وصل عددهم إلى ألفي طالب تقريباً في مدرج يتسع على أقصى تقدير له لحوالي ألف ومئتي فرد.

لقد ملأ الطلاب الممرات وجلس آخرون على الأرض وغيرهم على باب المدرج، وآخرون خلف الباب لا يستطيعون رؤيته، لكنّهم يستمعون له في الميكروفونات التي أعدتها الجامعة لتوقعها حضور هذا العدد الكثيف، لأنّه

حدث مكرر في كلّ مرة يأتي فيها الدكتور ظافر زائراً ليلقي محاضرته ربع السنوية كالمعتاد.

فعلى الرغم من أنّه تم تعيينه كأستاذ أساسي بالجامعة إلا أنه توقف عن التدريس وإلقاء المحاضرات المنتظمة منذ أكثر من عامين؛ عندما قرر أن يبتعد قليلاً عن العمل الأكاديمي، ويذهب بنفسه إلى المناطق الأثرية المكتشفة حديثاً أو القديمة ليعيش وسط عبق الحضارة المصرية على أرض الواقع ليكتشف مزيداً عن المناطق الأثرية ويزداد علماً.

وعندما سأل رئيس الجامعة ظافر _عندما جاء له لتقديم الاستقالة_ عن السبب الذي دفعه لترك كرسيه المريح وقراءة الكتب والدراسة الأكاديمية واتجاهه نحو البحث والتنقيب عن الآثار المصرية داخل المقابر والمعابد الفرعونية.

قال الدكتور ظافر مقولته المشهورة: إنّ ساعة يقضيها وسط معابد ومقابر وأهرامات أجدادنا المصريين القدماء أفضل من قضاء عشرات الأيام في قراءة الكتب الأكاديمية التي تتحدث عنها. وتزيده علماً لم يكن للكتب أن تمنحه إياه.

وبالطبع رفض رئيس الجامعة الاستقالة المقدمة، فهو لا يريد أن يخسر الكنز الذي يدرك تماماً قيمته، واقترح عليه أن يحتفظ بمنصبه، بل ويتم ترقيته إلى رئيس قسم الآثار بالجامعة ويلقي محاضرة كل ثلاثة أشهر لمدة ثلاث ساعات متواصلة يكشف فيها عن أحدث ما توصل له في أبحاثه

واكتشافاته كأستاذ زائر ليفيد الطلاب الملتحقين بالجامعة إفادة عملية بجانب دراستهم الأكاديمية، مما لاقى استحساناً عنده ووافق على الفور، طالما ذلك سيعود بالفائدة على الجيل الصاعد.

والمكانة المحلية والدولية الكبيرة التي يتمتع بها دكتور ظافر، على الرغم من صغر سنه ساعده للحصول عليها عشقه لكل ما هو له علاقة بالآثار الفرعونية منذ أن كان طفلاً صغيراً، وملاحظة والديه لذلك مما ساهم في نبوغه وتفوقه.

فقد لاحظوا أنه على غير عادة الأطفال المهتمين بمشاهدة أفلام الرسوم المتحركة على التلفاز أو على مواقع الإنترنت أو اللعب بالكرة مثلاً مع أقرانهم الأطفال، كان ظافر لا يشاهد إلا أفلاماً وثائقية أو حتى كرتونية، لكن التي فقط تتحدث عن الحضارة الفرعونية وعظمتها، ودائماً يسأل والديه أسئلة عنها أكبر من سنّه بكثير.

حتى أنهم أنفسهم لا يعرفون إجاباتها على الرغم من أنهم بالغون ولديهم معلومات لا بأس بها في هذا المجال.

فقام والده بإحضار الكتب والمجلات وأسطوانات مضغوطة تتحدث كلها عن الحضارة الفرعونية وكان ظافر يلتهمها التهاماً لدرجة أنّ والده كان لا يصدق ويشك أنّه انتهى من قراءة الكتب ومشاهدة الفيديوهات في هذا الوقت القياسي، فقرّر أن يتطلع على إحداها ويسأل ظافر عنها

الذي بدوره أجاب والده بكل اقتدار وبدون أي تفكير وكأنه هو من قام بتأليف هذه الكتب.

شعر والد ظافر وقتها بالسعادة البالغة وأنّ ابنه فعلاً يمتلك هواية وموهبة تبدوغريبة على الأطفال في مثل سنه، ولكنّه توقع له مستقبلاً كبيراً؛ لذا قرر تنمية هذه الموهبة وأخذ ظافر في جولات عديدة إلى المواقع الأثرية المنتشرة في جميع أنحاء جمهورية مصر العربية، مثل: المتحف المصري الكبير، ومعبد أبو سمبل، والأقصر، وأسوان، ومعابد دندرة، وفيلة، والأهرامات، وغيرها الكثير. تقريباً لم يتركا مكاناً أثرياً واحداً دون زيارة.

وعلى الرغم من أنّ هذه الرحلات كانت تأخذ من وقت والد ظافر الكثير وتؤثر على عمله وتشغله عنه وتكلفه الكثير من المال، إلا أنّه كان في قمة السعادة وهو يرى المتعة والذهول والإعجاب في عينيّ ابنه، وكأنّه قد دخل إلى عالمٍ مختلفٍ وأغلق بابه خلفه.

فهو يتفحص بتركيز شديد كل معلم وكل أثر، ويكتب الملاحظات ويسجل التعليقات كما يفعل علماء الآثار الكبار، حتى كتب أكثر من عشرة دفاتر مملؤة بالملاحظات والتعليقات تكفي لكتابة ثلاثة كتب مثيرة عن علم الآثار الفرعونية، وهو فتى لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وعلى الرغم من تفوقه الدراسي الكبير في كلّ المواد في الثانوية العامة وحصوله على ترتيب متقدم من بين أوائل الطلبة على مستوى الجمهورية، حيث مجموع درجاته يؤهله إلى دخول كلية الطب، حلم جميع طلاب الثانوية العامة وقتها، إلا

أنّه فضل دخول القسم الأدبي ليصبح طالباً بكلية الآثار جامعة القاهرة، التي واصل تفوقه فيها، حيث كان يحرز المركز الأول على جميع طلاب دفعته في كل عام بلا منازع وبفارق كبير في المجموع عن أقرب منافس له، مما أهله ليتم تعيينه معيداً بالقسم نفسه بعد ثناء وشكر وتقدير من جميع أساتذته وتوقعهم بالمستقبل الباهر له.

لاحظت سحر صديقة هالة نظرات الإعجاب والتقدير التي تظهر في عينيها، فقالت لها ممازحة:

- يا لك من فتاة محظوظة! فأنت خطيبة دكتور ظافر وحبيبته ولك كل الحق في الفخر به، فهنيئاً لك أيتها العاشقة الولهانة.

شعرت هالة بالحرج واحمر وجهها، وأشارت لسحر بإصبعها أن تصمت كي لا يسمعها أحد،

والحق أنّ ظافر يشعر أنّه هو أيضاً محظوظ كون هالة حبيبته وخطيبته.

فمنذ الطفولة كتب لهما القدر أن يتلازما، فبيت أسرتيهما كانا ملتصقين ببعضهما البعض، لذا واظبا على قضاء اليوم كله معاً يلعبان حتى ينادي والد أحدهما على الآخر للدخول إلى المنزل لتناول الغذاء أو للنوم، فيعترض ويتذمر حتى يأتي الأب أو الأم لتجذب ذراعه أو ذراعها إلى الداخل ويترك الطرف الآخر في صدمة ووحدة، وكأنّه تائه في هذا العالم الكبير ولا يدري ما يفعل بعدها سوى أن يعود هو الآخر إلى منزله وهو حزين مكسور الخاطر، ثمّ كبر الطفلان قليلاً والتحقا بالمدرسة، ولحسن حظهما كانا في

الفصل نفسه، واعتادا الذهاب والعودة معاً من وإلى المدرسة حتى تفرقا عندما بلغا المرحلة الإعدادية والثانوية، لكن هذا لا ينفي التقائهما مصادفة مرات عديدة بسبب قرب منزليهما وأحياناً كثيرة يتوقفان ليتحدثا لوهلة مع بعضهما البعض عن أحوالهما ودراستهما حتى شعر كل منهما بوخزة غريبة في القلب تجعله غارقاً في مشاعر جديدة لم يسبق أن أحسا بها من قبل، وتجعل كلاً منهما سعيداً بمجرد التفكير في الآخر، إنّها وخزة الحبّ.

وقررا ألّا يفعلا مثل أي حبيبين مراهقين في عمرهما ويخفيان هذا الحبّ، ليعيشا في مشاعر معقدة من غيرة ولوعة وحرقة وبذل مجهود لا طائل منه حين يقوم كل طرف بمراقبة الآخر من بعيد وهو يخفي مشاعره عنه في انتظاره ليعترف هو أولاً، ويصارحه بهذا الحبّ.

لقد ولد حبهما ناضجاً، فقررا مصارحة بعضهما البعض وبالتالي مصارحة الأهل بقصة حبهما الطاهرة، وعلى الرغم من اعتراض الأسرتين بسبب صغر سنهما وأنّ الآباء يعتقدون أنّ هذا حب مؤقت سينتهي بمجرد دخول كلّ منهما الجامعة ليلتقي بعالم كبير مليء بجميع أصناف البشر وفي الغالب سيدرك كل واحد منهما أنه وجد شريكاً آخر أفضل يكمل معه الحياة، لكن ما حدث العكس، لقد زاد العشق والحبّ بينهما لدرجة أنّ هالة على الرغم من أنّها لم تكن عاشقة لعلم المصريات والحضارة

الفرعونية القديمة مثل ظافر، ومجموع درجاتها في الثانوية العامة يؤهلها إلى الالتحاق بكلية الألسن التي كانت دائماً تخبر الجميع أنّها حلم حياتها.
إلا أنّ الكلّ فوجئ بقرارها الصادم أنّها ستتخلى عن حلمها لتلتحق بكلية الآثار جامعة القاهرة لتظلّ كما تعودت طوال حياتها أن تكون بجانب حبيب القلب دكتور ظافر، وتصبح فيما بعد أستاذاً مساعداً في القسم نفسه، بسبب تفوقها على الرغم من أنّ هذا المجال لم يكن مجالها الذي تهواه منذ البداية، ولكن بسبب ذكائها الشديد تفوقت فيه، بل وأحبته أيضاً.
لقد قضى ظافر وهالة معظم أوقات حياتهما معاً منذ نعومة أظفارهما، حتى أكثر من الأوقات التي قضاها كل منهما مع والديه وأسرتيهما مجتمعين، لا شك أنّ ظافر يشعر بالامتنان، حيث لو لم يقع في حبّ هالة وهو صغير، فما كان مكتوب له أنّ يحبّ أبداً، لأنّه ببساطة لا وقت لديه لقد كرّس كل حياته للبحث والتنقيب عن الآثار القديمة، كما لن يجد إنساناً آخر في حياته يعشقه بهذه الصورة الخيالية على الرغم من عيوبه التي تحملتها هالة، مثل غيابه المتكرر عنها لفترات طويلة، وهو ما لم تتعود عليه وتطيقه في السابق بسبب كثرة أسفاره لإلقاء محاضرات وندوات أو القيام برحلات التنقيب في مواقع الآثار التي يقوم بها بنفسه إلى جانب عمله الأكاديمي الذي لا ينتهي، لكنّها أقلمت نفسها على ذلك وضحت بمشاعرها وتلهفها عليه في سبيل أن تراه في هذه المكانة كما تشاهده الآن أكبر عالم مصريات في العالم كله، فهي ترى نجاحه هو نجاحها وطموحه هو طموحها، لكن هذا

لم يمنعها من الحين إلى الآخر أن توجه إليه بعض اللوم، فبعد انتهاء محاضرته العظيمة جلست معه في مقهى الجامعة ليتناولا بعضاً من البسكويت مع الشاي في الاستراحة في حديقة الجامعة، حيث قالت له:

لقد أحسنت يا حبيبي في إلقاء محاضرتك اليوم، لقد كنت أتأمل وجوه الطلبة وهم ينصتون إليك فأجدهم ينظرون إليك بتركيز وإعجاب وانبهار شديد، كما لو كانوا يشاهدون أفضل عرض لفيلم سينمائي مليء بالإثارة والخدع البصرية المبهرة.

- قال ظافر: شكراً يا عزيزتي أنا لم أكن لأصل إلى ما أنا عليه الآن لولا وقوفك بجانبي وتشجيعك لي ومساعدتي بلا تذمر.

- قالت هالة: لكن ألا ترى أنّ الوقت قد مضى سريعاً وتأخر موعد زواجنا بشكل مبالغ فيه، إننا مخطوبان منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة، منذ أن كنا في الصف الثالث الثانوي وهي مدة قياسية لم تحدث من قبل بالتأكيد.

- قال ظافر وقد أطرق رأسه إلى الأسفل: نعم يا عزيزتي أنا أعترف بالتقصير تجاهك، لكن كما تعلمين انشغالاتي الكثيرة، الوقت يفر مني ولا أستطيع السيطرة عليه، هل تعلمين أنني قد رفضت الكثير من العروض للسفر إلى أمريكا، وأستراليا، والصين، والبرازيل، ولندن، الفترة الماضية لإلقاء محاضرات هناك لضيق الوقت وانشغالي بمشروع جديد للتنقيب عن الآثار الذي أحضر حالياً دراسة دكتوراه جديدة بشأنه لمناقشتها.

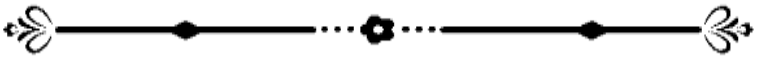

- قالت هالة: يا ليتك قد قبلت هذه العروض، فالمقابل المادي الكبير لها سيساعدك على شراء الشقة وتجهيزها، لا أعلم كيف أنّ دكتوراً وعالماً عظيماً مثلك لا يملك المال الكافي ليمول مشروع زواجه حتى الآن!

- قال ظافر: أنت تعلمين جيداً بصفتك تعملين في المجال نفسه أنني أنفق الكثير من الأموال من جيبي الشخصيّ وأموّل نفقاتي ولا أقبل العروض من أي جهة لتمويل بعثات التنقيب التي أقودها في أي مكان كي لا تتحكم فيّ.

كما أنّ أسعار الكتب والموسوعات والمخطوطات النادرة التي أشتريها غالية جداً وتكلفة السفر والتنقلات والإقامة بالفنادق زادت كثيراً عن ذي قبل.

أطرقت هالة برأسها إلى الأرض وقالت في نبرة حزن ويأس:

- إذاً فلا يوجد أمل لنتزوج.

قام ظافر ووضع يده على كتف هالة في رفق، ثم قال:

- لا تحزني يا عزيزتي إنني متلهف مثلك من أجل إتمام زواجنا، بالتأكيد سيكون هذا اليوم أسعد يوم في حياتي كلها.

لذا أريد أن أبشرك أنني الآن عاكف على كتابة خمسة كتب جديدة دفعة واحدة، أخطط أن أطرحهم جميعاً في الأسواق نهاية هذا العام مع أكبر دور النشر في العالم، وأرباح هذه الكتب الخمسة ستكون كافية لسداد نفقة زواجنا.

كما أنّ مشروع الدكتوراه الجديد الذي أعكف عليه سيحدث ضجة كبيرة وسيكون اكتشافاً عظيماً مثل اكتشاف مقبرة أخناتون.

وسألقي محاضرات ممولة عن هذا الاكتشاف العظيم في أكبر الجامعات ونصبح أغنياء وأعوضك عما فات، وأعدك لن نكتفي بشهر عسل، بل سنأخذ إجازة لمدة عام كامل نزور خلاله جميع بلدان العالم للسياحة، ونقضي أوقاتنا السعيدة على أفضل وأشهر الشواطئ والمنتجعات السياحية.

تهللت أسارير وجه هالة ونظرت له في شوق وفرح، وقالت:

- حقاً يا ظافر هل سيحدث ذلك؟

- قال ظافر: بكل تأكيد يا حبيبتي فأنتِ أمنيتي الأولى والأخيرة.

- قالت هالة: إذاً أخبرني عن هذا الاكتشاف العظيم الذي تجري أبحاث رسالة الدكتوراه عليه.

- قال ظافر: إنّه يتحدث عن.... ثمّ قاطعه صوت في الميكروفون ينادي عليه قائلاً: الدكتور ظافر ليتوجه الآن للمؤتمر الصحفي للشباب في قاعة ستة الدور الثاني.

أمسك ظافر برأسه وقال في دهشة: لقد أخذنا الكلام ونسيت موعد المؤتمر الصحفيّ.

لا تحزني يا عزيزتي سأعود إليك بسرعة لنكمل كلامنا في السيارة بعد انتهاء المؤتمر.

- قالت هالة: ولكن...

لم يسمعها ظافر، فقد انطلق مسرعاً ليلحق بالموعد كي لا يتأخر عن طلابه الذين يتشوقون إلى لقائه دائماً، وترك هالة ساهمة تائهة تسرح في أفكارها.

كان المؤتمر الصحفي للطلبة بعد المحاضرة هو نظام جديد أقرته الجامعة، تشرف عليه لجنة الصحافة والأدب بالجامعة كي لا يقاطع أحد دكتور ظافر أثناء إلقاء محاضراته، لأنّه في السابق كان يتم تقريباً مقاطعته كل خمس دقائق أو أقل لمناقشة كل سطر فيها أو طرح سؤال آخر خارجها وفي المحصلة تنتهي الثلاث ساعات ولم ينتهِ دكتور ظافر إلا من ربع المحاضرة التي أعدها مسبقاً مما يتسبب للطلبة بخسارة كبيرة في معرفة آخر مستجدات البحث العلمي والتنقيب في علم الآثار.

لذا أقيم المؤتمر الصحفي بعد المحاضرة بنصف ساعة استراحة ليجهز خلالها الطلاب أسئلتهم وينظموها ليضمنوا عدم تكرارها.

عندما وصل دكتور ظافر القاعة المعدة للمؤتمر الصحفي لم تكن بحال أفضل من قاعة المحاضرة الأولى، لاكتظاظها عن آخرها، ووجود جماعة من الطلاب لم يجدوا مكاناً لهم ليجلسوا فيه، فوقف الكثير منهم على باب القاعة ليستمعوا لما يقال.

جلس الدكتور ظافر وشكر رئيس الجامعة على حسن الضيافة وطلب أن يتم بدء إلقاء الأسئلة من اليمين وتكون مختصرة وواضحة.

قام أول الطلاب في الصف وطرح أول سؤال وقال:

- دكتور ظافر، ما رأيك فيمن يقول إنّ الأهرامات بناها الفضائيون؟

- ابتسم دكتور ظافر وقال: إنّ مصدر هذه الشائعات بدأت من أحد المشاهير الكبار المهووسين بالحضارة الفرعونية لذا صدقها البعض.

- قاطعه الطالب وقال: تقصد السيد إيلان أغنى رجل في العالم الذي اختفى فجأة منذ خمسة أعوام ويعتقد بشكل كبير أنه مات؟

- قال دكتور ظافر: نعم لكن دعنا لا نذكر أسماء هنا، فبغض النظر عن الأسماء انتشرت شائعات وأساطير ونظريات خاطئة كثيرة عن سر بناء الأهرامات ومن قام ببناء الأهرامات، مثل الادعاء الشهير بقيام اليهود ببنائها، وبالتأكيد هذا أكبر نصب وافتراء في التاريخ. حيث إنّ الدلائل الأثرية والتاريخية تشير إلى دخول اليهود أو العبرانيين إلى مصر مع نهايات الدولة الوسطى وعصر ما يعرف بالانتقال الثاني أو عصر الغزو الهكسوسي لمصر، بمعنى أنّ بناء الأهرامات كان قبل دخول اليهود أصلاً إلى مصر بآلاف الأعوام.

كما يوجد دليل آخر أنّ كلّ الأسماء المكتوبة للعمال الذين شاركوا في بناء الأهرامات مكتوبة على جدران الجبانة التي عثر عليها وكلها أسماء مصرية خالصة ولا يوجد أي اسم عبراني واحد بينهم، وقد أكد هذا الكشف للعالم كله أنّ المصريين هم بناة الأهرام، وأنّ الأهرام لم تُبنَ بالسخرة..

لكنّني أرى أنّ نظرية بناء الفضائيين للأهرامات بالذات هي أغبى نظرية وإذا سألتني لماذا سأخبرك لأنّ لو افترضنا بصحة هذه النظرية، فأين هم الفضائيون؟ هل بنوا لنا الأهرامات وتركوها كهدية لحبهم لنا مثلاً بدون أن

يتركوا حتى دليلاً أو اسماً واحداً أنهم أصحاب هذه الهدية العظيمة؟ هذا رد بسيط أي طفل يستطيع أن يقوله رداً على هذه المهزلة، شكراً لك السؤال التالي؟

- قام طالب آخر وسأل الدكتور ظافر: كيف إذاً تمت عملية بناء الأهرامات؟

- قال الدكتور ظافر: رغم أنّ هذا سؤال متكرر منذ قديم الزمان إلا أنّه له وجاهته وأهميته

وقد تم عمل أبحاث عديدة ونظريات كثيرة في هذا الشأن، لكنّ المصريين القدماء لم يبنوا الأهرامات بطريقة واحدة، بل تطورت عملية البناء عبر العصور والأُسَر المختلفة، بدءاً من هرم زوسر المدرج في سقارة، وحتى وصلنا لهرم خوفو، إلا أنّ هناك نظرية شهيرة تقول

إنّ المصريين القدماء استخدموا فكرة الرافعة المائلة، حيث يوضع الحجر داخل قفص، وتتم إمالة الرافعة الخشبية من جانب، ودعمها من الجانب الآخر، لتسهيل تحريك ونقل الحجر، وفقاً لخطوات معينة تم شرحها في نموذج عملي بالصور في محاضرة سابقة.

أما عن أحدث النظريات هذا العام تفيد أنّ استخدام المصريين القدماء المجاري المائية من النيل إلى منطقة الهرم لنقل الأحجار، وهذه المجاري كانت موجودة أيام الدولة القديمة عصر الأسرة الرابعة في عهد الملك خوفو، ثمّ جفت بعد ذلك.

- أكمل الطالب سؤاله: وأي نظرية منهم تميل لها شخصياً يا دكتور ظافر؟

- قال الدكتور ظافر: في الحقيقة على الرغم من أهمية الأمر، لكنّني لم أصب اهتمامي لحلّ هذا اللغز لأنّ تقريباً جميع علماء العالم يبحثون وراءه، بينما لدينا ألغاز أخرى لا تقل أهمية ولم يتطرق لها أحد وهي الآن محل دراساتي الشخصية.

- قال الطالب: لقد شوقتنا كثيراً، هل يمكن أن تخبرنا ببعض الأمثلة من هذه الأسرار الأخرى؟

- قال ظافر: على سبيل المثال: كيف قام قارون بتحويل التراب إلى ذهب، ما المعادلة الكيميائية والطريقة التي استخدمها؟ إنها سر كبير لم يكتشفه أحد، ولم يبدأ حتى أي عالم في البحث حوله على الرغم من أنه لو تم حل هذا اللغز سيكون له أثر كبير جداً على عالمنا، لن يكون هناك فقير واحد.

تخيل هذا؟ فك لغز واحد كفيل أن يقضي على الفقر والمجاعة، وهناك أيضاً أسرار أخرى، مثل: سر التحنيط، وسر وجود رسومات لطائرات هليكوبتر، وجهاز جوال، ولاقط إشارة صناعي على جدران المعابد، كيف عرف قدماء المصريين عن هذه الاختراعات الحديثة، وهل فعلاً كانت موجودة في عصرهم؟

- قال الطالب في لهفة وشوق: إذاً لماذا لا تخبرنا بسر هذه الألغاز التي تعمل عليها؟

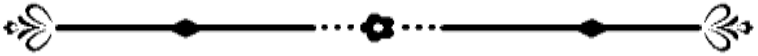

- ضحك دكتور ظافر وقال: هل تعلم أنّ كل سر من هذه الألغاز التي ذكرتها قد تحتاج عشرات السنوات، وقد تصل إلى أكثر من ذلك لإجراء البحث العلمي والدراسة المنهجية والمجهود الكبير لكشفها.

لكنّني لا أخفي عليك أنني الآن بصدد تحضير رسالة الدكتوراه في أحد هذه الأسرار الغنية بها حضارتنا العظيمة والتي لم يتطرق له أحد من قبل.

إنّه عن فترة غريبة وغامضة من تاريخنا لا يعلم أحد حتى الآن عنها شيئاً لقلة المعلومات المتوفرة بصددها، أتكلم هنا عن عصر الاضمحلال الناعم.

- سأل الطالب في تعجب: نحن نعلم عصور الاضمحلال جيداً في التاريخ الفرعوني، ودرسناها في المرحلة الثانوية والجامعة، وهي عصور الضعف الشديد للأسرات الحاكمة التي تؤدي إلى سقوط الحكم من يد الأسرة الحالية التي تحكم بسبب تفككها وانتقاله إلى غيرها من الأُسر القوية أو سقوط الأسرة الحاكمة بسبب غزو خارجي ووقوع البلاد تحت يد المحتل الأجنبي، مثل: غزو الهكسوس. ونعلم أيضاً أنّ هناك عصر اضمحلال أول وثانٍ وثالث، لكن هذه المرة الأولى التي نسمع فيها عن وجود عصر الاضمحلال الناعم هذا!

هلّا توضح لنا قليلاً وتشرح عنه ولو نبذة رجاءً؟

- قال ظافر: أرأيت ألم أقل لك أن تاريخنا مليء بالأسرار التي لم يفتح أحد ملفاتها بعد، فعلى الرغم من أنك طالب متفوق ودرست الكثير والكثير

لا تعلم عنه شيئاً، سأخبركم بالخطوط العريضة عن بحثي في هذا الشأن لكن هل يوجد من في هذه القاعة من يعلم عن عصر الاضمحلال الناعم بما فيهم أساتذتنا المرموقين وعميد الكلية؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض، لعلّ أحدهم يعلم أي شيء عما ذكره ظافر، لكن على ما يبدو لا يوجد أحد يعرف عنه شيئاً، فساد الصمت قليلاً، ثمّ قال دكتور ظافر: حسناً يبدو أنّ الموضوع جديد على المستمعين، لذا سأخبركم عن هذه الفترة الغامضة.

تقول الحكاية: إنّ الملك زوسر الخامس كان أقوى الملوك بلا منازع في هذه الفترة من تاريخ العالم، وكانت الحضارة المصرية في أوج قوتها وغناها حتى وصل نفوذها إلى حدود العراق والشام، لكن تذكر البرديات والكتابات التي استطعت العثور عليها بصعوبة، أنّ الملك وقع في خطأ استراتيجي فادح عندما أرسل جل جنوده إلى النوبة للاستيلاء عليها، وترك فقط ألفي جندي لحماية البلاد.

وكان هناك جاسوس خائن نقل هذا الخبر حتى قبل البدء في تحرك الجيش إلى النوبة بعشرة أيام إلى الفينيقيين والآشوريين الذين لم يتركوا هذه الفرصة الذهبية تضيع منهم، واتحدوا معاً للزحف بجيوشهم للهجوم على العاصمة، وهنا تيقن الملك زوسر بالهزيمة المطلقة حيث علم في صدمة كبيرة أنّ الرسول الذي أرسله قائد الجيش كازان إلى الجيش في النوبة كي يعود بأقصى سرعة لصد العدوان قد تم قتله قبل تسليمه الرسالة.

وتغير حال الملك وعاش في قهر وحزن حتى ظنّ الجميع أنه سيهلك من القهر، حتى جاءه الكاهن الأعظم في ليلة ما قبل حدوث الغزو، وكشف له عن طريقة لهزيمة الأعداء وعلى الرغم من عدم معرفتي حتى الآن عن هذه الطريقة التي جعلت جيشاً مكوناً من خمسين ألفاً من الجنود ينهزم خلال ساعتين من ألفي جندي مصري أو من يكون هذا الكاهن الأعظم، لكن ما علمته بعد ذلك من البرديات أنّه تم اكتشاف من كان هذا الجاسوس وتم قطع رقبته أمام الجميع.

ثمّ عمّت احتفالات شديدة في البلاد بهذا النصر وعاشت مصر في حالة من الزهو والازدهار لمدة ما يقارب من عام، لكن بعدها تذكر البردية النادرة التي استطعت أن أجدها بصعوبة مخبأة في تل العمارنة، إنّ الكاهن الأعظم مات ميتة بشعة جداً رغم أنّ كلّ من شاهده يوم وفاته أكد أنّ صحته كانت في أفضل حال، لكنّهم لاحظوا وجود غيمة سوداء عظيمة فوق منزله هو فقط دوناً عن كل المنازل في ذلك اليوم، وعلى الرغم من أنّ هذا الوقت هو ذروة الصيف منتصف شهر يوليو ووجود سحاب احتماله ضعيف ووجود سحابة عظيمة مثل هذه احتمالاتها منعدمة.

وتم سماع أصوات صراخ ونواح وأصوات مرعبة أخرى غريبة تصدر من منزله والنيران تشتعل حول المنزل.

فأسرع الناس إلى بيته، لكن لم يستطيعوا الدخول إلا بعد خمود تلك النيران والأصوات ليجدوا جثة الكاهن الأعظم مشوهة، وقد تحللت بشكل

كامل بعد أقل من ساعة حتى لم يستطيعوا القيام بطقوس التحنيط لسرعة تحللها، ووجدوا بجانب جثته بردية تسمى بردية الموتى، كتبت فيها تعويذة ما وفي نهايتها جملة "عندما يعطي الشيطان بيد يأخذ في مقابلها بألف يد".

ثمّ حلّت لعنة شديدة على البلاد كلها، حيث جفت الأنهار ومات الزرع، وهلكت الماشية، وانتشرت الأوبئة وانتشرت حشرات القمل والضفادع، حتى هلك تقريباً معظم السكان وهلك جميع أفراد العائلة الحاكمة، وجاءت عائلة أخرى لتمسك بزمام الحكم في البلاد.

لذلك تم تسمية هذا العصر عصر الاضمحلال الناعم، لأنه تم دون حرب أو قتال وحدث انتقال سلمي للسلطة بسبب الظروف والأحداث وقتها.

والمخطوطات والبرديات التي تحكي عن هذه الحقبة نادرة جداً، حتى أنّ الأسرة الحاكمة بعد هذه الواقعة تجاهلوا ما حدث تماماً لمن قبلهم، ولم يسجلوا على جدران المعابد سوى ما يتعلق بهم، فالعرف عند الحاكم الجديد إما أن يمدح من كان قبله إذا كان الخليفة الطبيعي بالوراثة كالابن أو الزوجة أو الحليف، وإما الذم ومسح الإنجازات من على الجدران لو كان بينهم عداوة أو لو كانوا متحاربين.

ولكن كأنّ الجميع اتفقوا على إخفاء ما بهذه الحقبة تماماً بسلبياتها وإيجابياتها، والسر غير معلوم.

وأيضاً لا يوجد ذكر لها في تاريخ الدولة الفينيقية أو الآشورية، لأن الهزيمة كانت كبيرة جدّاً، وأُبيد الجيشان عن آخرهما، فاعتبرت كوصمة عار لا تستحق الذكر إلا مرور الكرام.

ساد الصمت القاعة بعد إلقاء دكتور ظافر هذه القنبلة على مسمع الجميع، فالكلّ كان من الذهول يفكر ويطرح أسئلة عديدة في عقله، كيف وأين ولماذا؟ حتى قطع دكتور ظافر عليهم حبل الأفكار وقال: أعلم أنّ بداخل عقولكم أسئلة عديدة وأنا مثلكم، لكنّني عزمت على سبر أغوار هذه الحقبة وأخذت جميع التصاريح والموافقات للبدء بالتنقيب عنها، وأتمنى أنّ اللقاء القادم لنا أن أجد إجابات شافية على كلّ هذه التساؤلات، أما الآن اسمحوا لي أن أنصرف، فلقد انتهى وقت المؤتمر وأحبّ أن أشكركم جميعاً.

ساد الصمت طوال الطريق، ولم تتحدث هالة مع دكتور ظافر، وهي تجلس على الكرسي بجواره في السيارة وهو يقودهما إلى منزلها حتى لاحظ ذلك بالإضافة إلى حالة الوجوم التي كانت عليها

فسألها: ماذا بك يا هالة؟ لماذا أنت صامتة على غير عادتك المرحة؟

- قالت هالة: لأنّي متضايقة منك لأنني آخر من يعلم بموضوع عصر الاضمحلال الناعم هذا لماذا لم تخبرني من قبل عنه، ألسنا شريكين في العمل والحياة؟ لماذا هذا التكتم الرهيب على كل من حولك خاصة أنا، ولماذا الآن قررت أن تعلن ذلك أمام الجميع الآن؟

- ابتسم ظافر وقال: لقد كنت على وشك أن أخبرك أنت أول شخص عن هذا الموضوع، لكن لو تتذكرين تمت مناداتي في الميكروفون لحضور المؤتمر الصحفي.

- قالت هالة متذمرة: ظافر أرجوك أنت تعلم ماذا أقصد، كن مباشراً معي رجاءً أنا أعني لماذا لم تخبرني قبل ذلك بكثير؟

- قال ظافر: إنّ الأمر في البداية كان بالنسبة لي مجرد أساطير وخرافات، لكن عندما تأكدت أنّ هذه الحقبة كانت موجودة عن طريق بعض البرديات الموثوقة التي تشير إليها من بعيد وعثرت مؤخراً على بردية أصلية تتكلم عما حدث بالتفصيل في منطقة تل العمارنة، وأخذت جميع الموافقات والتصاريح اللازمة لأبدأ التنقيب عن هذه الفترة وأعد رسالة الدكتوراه فيها، أصبح الأمر واقعاً وليس مجرد أساطير لا أساس لها، كما أنّ هناك سبباً أكبر أرجو أن تعفيني أن أذكره لك.

- غضبت هالة وقالت: ألهذه الدرجة لا تثق بي! كيف سنبني حياتنا من بدايتها على الشك والمواراة؟ يبدو أنّ حبّي في قلبك قد اختفى، وأنّ عملك والشهرة جعلتك تنسى أنّ سنين حياتنا الماضية كلّها كانت مع بعضنا البعض وكأنّنا روحٌ واحدة.

شعر ظافر بالحَرج الشديد، وأحسّ أنّ هالة ممكن أن تفكر بالانفصال عنه لو لم يخبرها، فهذه أول مرة يراها بهذه الحالة من الغضب والإحباط، فقرر أن يعترف لها وقال:

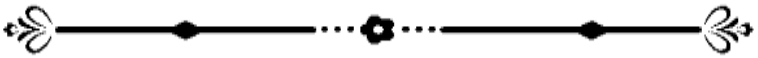

- يجب أن تعلمي يا هالة أنّ إخفائي هذا الأمر وإبعادك عنه منذ البداية بسبب خوفي عليك وعلى البلد.

- تعجبت هالة وقالت: وكيف ذلك اشرح لي؟

- قال ظافر: هل تعلمين أننا كنا مراقبين منذ اللحظة الأولى التي خرجنا فيها معاً لنذهب إلى الجامعة، وعند جلوسنا في المقهى في الاستراحة وفي المؤتمر الصحفي أيضاً، هل لاحظت وجود شاب يبدو عليه الملامح الأجنبية شعره الأصفر وعيناه الزرقاوان؟

كان يحاول التخفي وسط الناس، لكنّني استطعت ملاحظته وتأكدت من غرابة أفعاله أثناء المؤتمر، وحتى هذه اللحظة ما زلنا تحت المراقبة انظري خلفك، هل ترى هذه السيارة الزرقاء التي تتبعنا إن بها كاميرا مخفية عند الكشاف.

نظرت هالة خلفها وصُدمت أنّ فعلاً هناك سيارة زرقاء تسير خلفهما ويبدو أنها مزودة بكاميرا كما قال ظافر.

- قالت هالة: ماذا يجري لماذا نحن مراقبان؟

- قال ظافر: يبدو يا هالة أنّ هناك أيضاً من كان يعلم عن هذه الحقبة ويقوم بالأبحاث حولها، ولقد التقيت بأحدهم مصادفة في تل العمارنة، حيث كان يبحث أيضاً عن البردية نفسها، لكنّني وجدتها قبلهم ومنذ تلك اللحظة وأنا وكل من هو له علاقة بي تحت المراقبة.

- سألته هالة: لكن لماذا؟

- قال ظافر: سأخبرك سراً آخر لا يعلمه أحد هذه المرة، أعتقد أنّ حل ألغاز حقبة الاضمحلال الناعم سيؤدي إلى اكتشاف قوة جديدة أقوى من القوة النووية، كانت هي السبب في هزيمة جيش الفينيقيين والآشوريين، رغم أعدادهم الكبيرة، لكنّها قوة نظيفة لا تظهر آثار الدمار والهلاك والحرائق المدمرة مثل القنبلة النووية، وهناك من يعلم عن هذه القوة غيري، لذا يرسل جواسيس خلفي لعلّهم يحصلون عن أي معلومة عنها من خلالي.

- قالت هالة: أنا خائفة يا ظافر، لكنّني لن أتركك وحدك، أنت لا تعلم ما هو الممكن أن يحدث لي لو حدث لك أي مكروه أو سوء.

- قال ظافر: لكن يا هالة....

- قاطعته على الفور: لا توجد أعذار، سأكون كالظلّ لك في هذه المهمة، أرجوك أخبرني ما هي هذه القوة الغامضة التي هي أقوى من القنبلة النووية؟

- قال ظافر: لا أخفي عليكِ يا هالة حتى الآن لا أعرف ماهيتها، لكن كل معلوماتي تقول إنّ الكاهن الأعظم هو من علم سر هذه القوة واستخدمها مضطراً لأول مرة ليكون النصر من نصيب الملك زوسر الذي يحبه ويكن له كل الاعتزاز والتقدير، ويعتبره ابنه الذي لم يلده عندما رآه منهاراً ومتيقناً من الهزيمة.

وهناك من يربط بين الميتة البشعة للكاهن الأعظم وبين هذه القوة وأيضاً بينها وبين الهلاك والدمار الذي أصاب البلاد وموت معظم السكان وقتها.

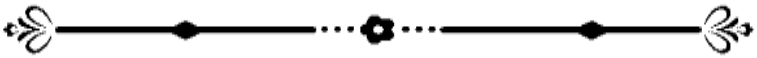

لذا الأمر جدّ خطير ويصعب ويعز عليّ أن أشركك به، لهذا أخفيته عنك حتى لا تصابي بأي مكروه من ورائه.

- أمسكت هالة بيد ظافر وعيناها دامعتان وهي تقول: لا، لن أتركك لحظة واحدة، ما يصيبك يصيبني حتى لو كان الموت نفسه.

نظر لها ظافر بعينين عاشقتين وأحس بمشاعر لم يجد أي كلمات بعقله تسعفه للرد عليها سوى أنه قال: أعشقك يا هالة.

الفصل الخامس

الموت على جناح الحبّ

"لا تتباهوا بالحبّ، فالفراق ينتظر الجميع"

في مكتب الدكتور ظافر كانت الإعدادات والتجهيزات للبدء في رحلة الاستكشاف الكبرى تتم على قدم وساق والأوراق والكتب والأبحاث منثورة في كلّ مكان، دخلت هالة على دكتور ظافر وقد أصابه الإنهاك، وقالت:

- ما هذا يا ظافر؟ ألم تخبرني أنك ستذهب لتنام قليلاً وطلبت مني أن أقوم بترتيب المكتب لك لماذا لم تذهب للراحة؟ أنت لم تنم منذ يومين متواصلين!

- قال ظافر: معك كل الحق، فأنا سأحتاج لكل ذرة من الطاقة لدي في الفترة القادمة. هل تمانعين أن تحضري لي بعضاً من الشاي ريثما أقرأ بعض عناوين الجرائد قبل الذهاب إلى الفراش.

- قالت هالة في ابتسامة: سأصنعه لك بقلبي لا بيدي.

نظر لها ظافر في ابتسامة رقيقة وهو يقول في نفسه: يا للنعمة الكبيرة التي أنعم الله بها عليّ بين يدي... يا الله لك الحمد احفظها لي إلى الأبد ولا تفرقنا أبداً.

بعد ما انتهت هالة من إعداد الشاي دخلت لتقدمه إلى ظافر، ووضعته بجواره ومرت خمس دقائق ولم يتناول منه شيئاً بعد، وكان تركيزه كله منصباً على قراءة الجريدة يتفحصها وكأنه يتفحص رسالة دكتوراه أو كتاباً علمياً، فأرادت لفت انتباهه وقالت:

- ماذا يوجد في الجريدة يشدك إليها بهذه القوة؟ لقد وضعت الشاي الساخن بجوارك منذ خمس دقائق وسيبرد ولن تحبّ مذاقه.

- انتبه ظافر وقال في لطف: آسف يا عزيزتي، لكن أي شيء تقدمينه لي بيديك مهما كانت حالته فهو غالٍ بالنسبة لي أغلى من الذهب.

- احمر وجه هالة كعادتها منذ الصغر عند المجاملات، وقالت: شكراً لك على هذا الكلام اللطيف، ولكن لم تجب عن سؤالي بعد، ما المثير في الجريدة لهذه الدرجة؟

- قال ظافر: هناك شيء غريب يحدث لاحظته. كل يوم عندما أقرأ الجريدة أجد فيها خبراً عن حصول شركة إيلان العالمية على حقوق إدارة أماكن أثرية في عدة بلدان مختلفة، وتدفع مقابلاً مادياً كبيراً مقابل ذلك.

- قالت هالة: وما الغريب في ذلك؟ على حد علمي أنّ مالك هذه الشركات معروف عنه الولع بالحضارات القديمة وعلم الآثار، بل وأنّه مغامر يذهب بنفسه لاكتشاف الأماكن الأثرية الجديدة مثلنا، ولكنه يأخذها كهواية في وقت فراغه.

- قال ظافر: لكنّ إيلان هذا رجل أعمال ولا يعرف الخسارة وبصفتي متخصص فإن المبالغ التي يدفعها كبيرة جداً ولن يحصل على أرباح ولا حتى تعويض لهذه المبالغ الضخمة.

بمعنى أنّه لا محالة خاسر كما أنّ هذا الرجل تدور حوله الكثير من الشبهات في سرقة الآثار والاتجار بها، وبيعها بالمزادات الخفية على الإنترنت بالإضافة إلى غسيل الأموال وتجارة المخدرات.

- قالت هالة: لكنّ الخبر المؤكد لدي أنّه لم يعد يدير شركاته وأنّ ابنه هو من يقوم بإدارتها الآن بعد ظهور أخبار قوية منذ خمس سنوات تفيد بوفاته أثناء إحدى رحلاته للتنقيب في مقبرة في أمريكا الجنوبية.

- قال ظافر: نعم سمعت هذه الأخبار، لكنّ ابنه هذا لم تكن علاقته جيدة بوالده، وميوله وهواياته مختلفة تماماً عنه، ولا يحب علم الآثار ولا علاقة له به، كيف فجأة أصبح من عشاقها ويدفع كل هذه المبالغ هباءً؟ بالتأكيد هناك سر كبير.

- قالت هالة: لعلّها الجينات ظهر تأثيرها في هذا الوقت.

- قال ظافر: حتى لو كان هذا صحيحاً، فما تفسير أنّ كلّ المناطق الأثرية التي حاز على حقوق إدارتها في مختلف البلدان هي مناطق الأهرامات فقط؟

- قالت هالة: لا أفهم هل توضح لي؟

- قال ظافر: كما تعلمين كل البلدان مثل السودان وإيطاليا وكولومبيا وليبيا وبيرو وغيرها حضاراتها لديها أهرامات أيضاً، طبعاً ليست في شهرة ولا

ضخامة ولا أصالة أهرامات مصر، لكنّها أيضاً أهرامات قديمة تم فيها تقليد الأهرامات الأصلية في الجيزة.

لماذا يريد مارك ابن إيلان السيطرة عليها؟ أعتقد أنّ لهذا هدفاً خفياً سيظهر مع الأيام، لا أعرف ما هو، لكنّ الشيء الوحيد الذي أنا متأكد منه أنّ للأهرامات أسرار، ولا بد أنه قد عرف إحداها وساذكرك وقتها بما قلته لك الآن عندما تنكشف الحقائق في المستقبل القريب.

- قالت هالة: حسناً دعنا لنصب تركيزنا الآن على مهمتنا الأساسية كي لا نتشتت، قل لي إذاً متى وأين نبدأ؟

- قال ظافر: في الحقيقة لا أعلم بالتحديد. ما أعلمه أننا سنبدأ في البحث من الهرم الأكبر، لكن أين بالضبط في الهرم الأكبر، فهذه هي المعضلة فكما تعلمين لقد درست وزرت الهرم الأكبر مئات المرات ولا أخفيك أنّني أعلم جيداً عنه كل حجر وركن وجدار وزاوية فيه أحفظها عن ظهر قلب، لذلك أنا غير متفائل أنّني سأجد شيئاً جديداً هناك يساعدنا على حل اللغز.

- قالت هالة ممازحة: هذه المرة ستكون مختلفة، فستكون معك أشطر أستاذ مساعد في الجامعة (تقصد نفسها) ثمّ أنا لا أحبّ نغمة الإحباط هذه حتى قبل أن نبدأ.

لنباشر العمل ولنرَ ما سيحدث وإن شاء الله سنجد ما نبتغي.

في صباح اليوم التالي تجهّز ظافر وهالة، وحمل ظافر على ظهره حقيبة ضخمة بها المعدات اللازمة، وبدأا من المدخل الرئيسيّ في الهرم في التاسعة صباحاً

ولم يتركا مكاناً أو زاوية أو غرفة أو مقبرة داخل الهرم الأكبر إلا ودخلاها وفحصاها، حتى مضى الوقت سريعاً، أصبحت الساعة السادسة مساءً ويجب إغلاق المكان، فخرجا وبدا عليهما التعب والإرهاق الشديدين.

- قال ظافر لهالة بعد أن خرجا من مخرج الهرم الأكبر الجنوبي: أنا محبط جداً، فكما توقعت لا جديد بعد هذا المجهود الشاق لا أعلم هل كانت حساباتي خطأ أم ماذا؟

أفكر في أن نوقف بحثنا هذا فيبدو أنه بلا جدوى وسيكون إضاعة للوقت.

كان ظافر يتوقع أن توافقه هالة على ما قاله، فهي إنسانة رقيقة ضعيفة البنية وبالتأكيد أصابها أضعاف ما أصابه من التعب والإرهاق، لكنّه فوجئ بها تنهره في شدة وتقول:

- ما هذا الكلام اليائس المحبط الذي تقوله؟ إنّنا بدأنا للتو هل تتوقع أنّ اكتشافاً عظيماً هكذا سيتم بكل سهولة ونحن نشرب الشاي؟ إنّ لكل شيء ثمناً وهذا الحدث ثمين جدّاً، وسيكون له بصمة كبيرة في مستقبلنا المهني والشخصيّ، ثمّ ألم تسمع حكاية اختراع أديسون للمصباح الكهربائي أنه حاول ألف مرة وفشلت كلها إلا المرة الأخيرة؟

أحس ظافر بالفخر والسعادة أنّ شريكته هالة بهذه الروعة، لقد أخرجته من حالة الإحباط إلى حالة من العزيمة والحماس الشديدين في ثوانٍ معدودة ببضع كلمات حماسية قليلة، فقال لها:

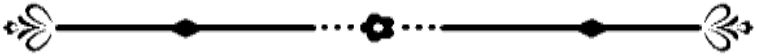

- لا، سنكمل البحث ولو سأدور في حلقات مفرغة حول نفسي داخل الهرم ألف مرة، وأنت معي سأفعل يا حبيبة قلبي أي شيء.

شعرت هالة بالخجل واحمر وجهها وصمتت، ولم تعرف كيف ترد حتى قطع صوت الصمت أحد العاملين في منطقة الأهرامات يهرع مسرعاً ينادي على الدكتور ظافر قائلاً:

- مشكلة كبيرة يا دكتور، أرجوك تعال معي إلى مكتب الإدارة.

شعر ظافر بالقلق وفكر ما هي يا ترى هذه المشكلة، وسأل الرجل:

- ماذا هنالك يا عم فرج أحدث شيء؟

- قال عم فرج: غير مسموح لي بالحديث لكن مدير منطقة الأهرامات سيخبرك بكل شيء في مكتبه.

- قالت هالة: سآتي معك يا ظافر.

أشار ظافر لها بأن تبقى مكانها ولا تقلق فإنّه سيعود إليها سريعاً.

توجه ظافر مع عم فرج إلى مكتب السيد عزام مدير منطقة الأهرامات الذي رحب به في حرارة قائلاً:

- أهلاً بعالِمنا الجليل، برجاء تفضل بالجلوس وأحضر لنا يا عم فرج كوبين من العصير رجاءً.

- قال عم فرج: حالاً يا سيدي.

وعندما انصرف عم فرج لإحضار المشروبات تأكد عزام من إغلاق الباب جيداً خلفه، ثمّ جلس على مكتبه وقال:

- لدي أخبار يا دكتور ظافر أعتقد أنها لن تكون سعيدة بالنسبة لك.

- قال ظافر: خير يا سيادة العميد ما الأمر؟

- قال عزام: أنت بالطبع سمعت عن شركات إيلان العالمية، وأنها لديها مشروع ما لا نعلم تفاصيله متعلق بالحصول على حقوق إدارة المناطق الأثرية، وتقريباً نجحت في الاستحواذ على امتياز إدارة جميع مناطق الأهرامات الأثرية في العالم، وقد قدموا عرضاً سخياً جدّاً للحكومة المصرية بالعملة الأجنبية في مقابل إدارة الهرم الأكبر فقط، وأنت كما تعلم الدولة في محنة اقتصادية كبيرة بسبب شح العملة الأجنبية، وقد وافقت الحكومة على ذلك العرض، حيث إنّه ستحدث انفراجة اقتصادية ترضي الشعب المطحون ولو بشكل مؤقت، ونحن في أمس الحاجة لهذه الأموال التي نعتبرها هدية من السماء في هذا التوقيت الصعب، ويعتبر العرض المقدم لنا نحن بالذات أضخم عرض تم تقديمه في جميع الدول التي بها مناطق أهرامات أثرية.

انتهى العميد عزام من الكلام وانتظر رد فعل دكتور ظافر، فوجده قد احمر وجهه من الغضب ووقف في حزم وضرب بيده على المكتب ضربة قوية، وقال في غضب:

- ما هذا الهراء! كيف يحدث ذلك؟ ألا تعلمون أنّ إيلان هذا لص مقابر وعليه شبهات عديدة حول سرقة الآثار والإتجار بها في المزادات الخفية في الدارك ويب وتجارة المخدرات؟

كيف للحكومة أن تضع يدها في يد هذه المؤسسة المشبوهة سيئة الذكر؟ أنا أعترض على هذا وبشدة.

شعر العميد عزام ببعض الإهانة من رد فعل الدكتور ظافر المبالغ فيه، لكنّه يعلم أنّ عصبيته هذه التي يراها لأول مرة بسبب غيرته على البلاد ووطنيته الشديدة، حيث إنّ الدكتور معروف بحلمه وطيبته لذا قال في هدوء يحسد عليه:

- من فضلك اجلس يا دكتور ظافر واهدأ قليلاً.

أنا توقعت أنك لن تكون راضياً بأي شكل عن هذا القرار، ولكنّني لم أرد أن أجعلك تتفاجأ بوجود أفراد من هذه الشركة يمنعونك من الدخول إلى المنطقة الأثرية إلا بتصريح منهم. المكان الذي أنا متأكد أنك أصبحت تعتبره بيتك الثاني، وهذا سيكون وقعه أسوأ عليك وعلى نفسيتك.

أدرك دكتور ظافر أنّه انفعل زيادة عن اللازم على صديقه الذي لا يد له في هذا القرار، بل على العكس لقد قرر تسريب هذا الخبر له رغم حساسيته قبل الإعلان عنه بشكل رسمي كي لا يتفاجأ بحدوثه لذا قال بعد أن هدأ:

- أنا آسف جدّاً يا سيادة العميد أنت تعلم أنك غير مقصود أبداً بانفعالي وسخطي هذا.

إنما هو رد فعل تلقائي لم أستطع منعه، لكنّني سأقاوم هذا القرار بكل قوة وسأقدم استقالتي من كل المناصب على الفور اعتراضاً على ذلك، بل وأعتزل العمل العام وأهاجر خارج البلاد.

- قال العميد عزام: لا. لا تفعل ذلك، أقترح عليك أن أرتب لك لقاء مع سيادة رئيس الوزراء فأنت أفضل من يستطيع توضيح خطورة هذا الاتفاق على الأمن القومي للبلاد وشرح تبعاته ولا تتصور كيف أنني من الداخل معترض وبشدة على هذا الأمر لكنها الأوامر العليا.

هز ظافر رأسه إشارة على الموافقة وسلم على العميد عزام واعتذر له مرة أخرى وانصرف وهو يحمل غصة كبيرة داخله.

وعندما عاد إلى هالة كان بوجهٍ غير الوجه الرومانسي الذي غادر به من أمامها، وقد ظهر هذا جلياً على ملامحه، فقالت:

- ماذا حدث يا ظافر لماذا تبدو متجهماً هكذا؟

- قال: لا شيء سأخبرك فيما بعد.

- قالت: ومتى سنلتقي غداً لاستئناف العمل في الهرم الأكبر؟

- قال ظافر: لن نكمل شيئاً، قررت إلغاء المشروع.

وانطلق ظافر إلى سيارته مسرعاً تاركاً هالة في ذهول وحيرة.

بعد أسبوع تم تحديد موعد لظافر لمقابلة رئيس الوزراء وقد ارتدى ظافر أفضل بدلة رسمية له، وتعمق في التفكير أثناء ضبط رباط العنق عليه الذي يكرهه ويخنقه جداً، لكنّه مضطر لارتدائه وأخذ يتساءل:

هل هناك فرصة فعلاً لأن أمنع هذا المشروع الشرير، لكن البلد فعلاً في حاجة ماسة للأموال وأنا مجرد فرد عادي لن تأبه الحكومة لأمر استقالته.

ثمّ نظر في ساعته ووجد أنه تأخر قليلاً، لذا قرر الذهاب فوراً وألّا يقود سيارته ويستقل "تاكسي" لأنه ليس في حالة مزاجية تسمح له بالقيادة وسط زحمة الطريق وسرحانه وتفكيره المستمر.

وكلما اقتربت السيارة من مقر رئاسة الوزراء ازداد قلقاً وازداد خفقان قلبه لأنّ القرار الذي سينتهي به هذا اللقاء سيكون مصيري بالنسبة له، إما أن يكمل مستقبله وحياته هنا في بلده التي أفنى عمره من أجلها ورفض جميع العروض لأخذ أي جنسية أخرى مقابل حياة رغيدة ورفاهية وأموال لا حصر لها.

أو الخيار الآخر الأكثر مرارة بالنسبة له ولا يتمنى حدوثه، أن تنتهي حياته في مصر ويهاجر خارجها ويدفن قلبه ويهجر كل ما هو له علاقة به هنا.

وصل ظافر إلى مقر مجلس الوزراء البناء الفخم الكبير وذهب إلى موظف الاستقبال وعرف نفسه له، فاتصل موظف الاستقبال بأحد ما وبعد ثوانٍ أشار إلى ظافر أن يستقل المصعد إلى الطابق الثاني.

وعندما وصل كان هناك شرطي همّ أن يقوم بتفتيشه إلا أنّ السكرتيرة قامت مسرعة ونبهت الشرطي ألا يقوم بتفتيشه بناء على تعليمات شخصية من رئيس الوزراء.

ثمّ قامت السكرتيرة بالترحيب به، وطلبت منه الجلوس قليلاً، وبعد دقيقة واحدة خرجت، وقالت: تفضل يا دكتور بالدخول رئيس الوزراء ينتظرك بالداخل.

دلف ظافر إلى المكتب الفخم وتوقع أن تكون المعاملة رسمية، لكنّه فوجئ أنّ رئيس الوزراء قام من على كرسيه يرحب به بحرارة قائلاً: أهلاً بالعالِم الجليل ابن البلد الأصيل، فخر كلّ مصريّ في كل المحافل، وطلب منه في قمة الأدب أن يجلس ويبدأ عرض وجهة نظره.

كان ظافر قد أعد مسبقاً ملفاً جيداً على جهاز الكمبيوتر الخاص به، يوضح مخاطر ومساوئ هذا الاتفاق، وكان عرضاً ملفتاً للنظر مرتباً ومختصراً لتوفير وقت رئيس الوزراء وبه أدلة ومستندات موثقة، ولم تمر نصف ساعة حتى اقتنع رئيس الوزراء بوجهة نظر دكتور ظافر وطلب السكرتيرة حالاً إلى مكتبه، وطلب منها أن تعد فاكساً رسمياً مختوماً بختم النسر، موجهاً إلى القائم بأعمال مالك شركات إيلان العالمية السيد مارك إيلان، وتعتذر له عن المضي قدماً في الموافقة على العقد المبرم بينهما لإعطاء شركتهم حقوق إدارة أهرامات الجيزة بدون توضيح أسباب، لأنّ العقد ما زال في فترة السماحية.

شكر دكتور ظافر رئيس الوزراء في حرارة، فرد عليه قائلاً: بل أنا الذي أشكرك لأنك وطني تخاف على البلد، وقد أوضحت جانباً لم يكن ظاهراً لنا بفضل خبرتك العظيمة.

خرج الدكتور ظافر من مكتب رئيس الوزراء وهو في قمة السعادة ولا يصدق ما حدث، لقد سارت الأمور بكلّ سهولة ويسر وفي أقل من نصف ساعة وأحس أنّه قد ولد من جديد، وكله حماس وعزيمة على إكمال

مشروعه مع هالة فوراً من الغد، وأسرع إلى بيتها يبشرها بما حدث وقد طارت هي الأخرى من الفرح، ليس لحبها المشروع ولا لأنهما سيستأنفان العمل فيه، لكنّها فرحت لفرح ظافر التي لم تشاهد هذا الكم من السعادة على وجهه من قبل.

استعد الشريكان ليوم آخر من البحث داخل الهرم الأكبر، وهذه المرة كلاهما متفائل بشدة بالعثور على دليل يساعدهما على تحقيق اكتشافهما المأمول.

وعلى الرغم من بدايتهما القوية المملؤة بالعزم والإصرار وعدم اليأس في أول النهار داخل الهرم الأكبر. إلا أنهما لم يجدا شيئاً وأصابهم الإرهاق الشديد وبعض الإحباط لأنّ الساعة الآن أصبحت الخامسة مساءً، وسيتم غلق منطقة الأهرامات ويجب عليهما المغادرة بعد ساعة من الآن على أقصى تقدير.

- قال ظافر لهالة: لقد تعبت يجب أن نستريح قليلاً ونشرب بعض العصائر.

- قالت هالة ممازحة: أنت الرجل القوي الذي تعود على الأعمال الشاقة أصابك التعب، وأنا الفتاة الرقيقة التي كنت تخشى عليها صعوبة ومشقة التنقيب لم أتعب بعد.

- ابتسم ظافر: وقال عليّ أن أعترف لقد أدهشتِني يا هالة أنت كتلة من النشاط والذكاء، ولو كنت أعلم ذلك منذ زمن لم أكن لأستغني عن شريك مفيد مثلك.

- قالت هالة ممازحة: من أجل كلماتك الجميلة هذه سأوافق أن نرتاح قليلاً قد أعدت عصير البرتقال المنعش المثلج لنتناوله في أثناء الاستراحة.

وجلس الاثنان على الأرض وهما يسندان ظهرهما على إحدى الجدران داخل إحدى الغرف بالهرم الأكبر.

- قال ظافر بعد أن أخذ جرعة كبيرة من العصير: ما ألذ هذا العصير المنعش يبدو أنني سأتزوج امرأة ماهرة في إعداد الطعام والمشروبات وسأزداد في الوزن بسببها.

- ضحكت هالة وقالت: سأعد لك ما لذ وطاب من أصناف لم تسمع عنها من قبل فقط دع لي الفرصة.

- ثمّ اختفت الابتسامة من وجه ظافر، وقال في جدية: أنا لا أخفي عليكِ يا حبيبتي أنني أشفق عليك، فلعلّ كلّ هذا المجهود الكبير الذي نبذله يذهب هباءً.

- قالت هالة: لا تقل هذا يا حبيبي، فالله يعلم صدق نوايانا وصدق سعينا ومقدار المجهود الذي نبذله ولن يضيعه أبداً وسيتكلل بنتيجة رائعة في النهاية.

تنهد ظافر ورجع بظهره إلى الوراء قليلاً إلى الجدار، وقال:

- أتمنى ذلك يا هالة ولكن كما أخبرتك لقد قطعنا الهرم الأكبر ذهاباً وإياباً أكثر من مرة دون أن نجد شيئاً ولا أريد أن تضعي أملاً زائفاً على حدوث معجزة ما مثل أنّ الدليل الذي نريده يقع تحت أرجلنا من السقف

أو ينبت من الأرض أو يخرج من الحائط الذي نستند عليه والتفت إلى هالة فوجدها تنظر إليه نظرة عجيبة، وقالت له:

- كرر مرة أخرى ماذا قلت؟

- سأل ظافر أي كلام تقصدين؟

- قالت هالة آخر جملة.

- تعجب ظافر منها، ولم يكن ينوي تكرار ما قاله ظناً منه أنها تمزح لولا أنه رأى نظرة جادة جداً على وجهها، فقال: لقد قلت لا أريد أن تضعي عشماً على حدوث معجزة ما، مثل أنّ الدليل الذي نريده يقع من السقف أو ينبت من الأرض أو يخرج من الحائط.

- صاحت هالة: لقد وجدتها أنّ الدليل كما قلت فعلاً موجود خلف الحائط الذي نستند عليه.

- سأل ظافر متعجباً: ماذا تقصدين؟

- قالت هالة: ألم تلاحظ شيئاً؟ انظر بنفسك حولنا جميع الحوائط مستوية ولها نفس السماكة إلا هذا الحائط الذي نستند عليه.

- نظر ظافر حوله وقال: يا للذكاء وقوة الملاحظة عند النساء، بالفعل لقد جئت أكثر من مائة مرة هذا المكان ولم ألاحظ ذلك الفرق بين الجدران.

- ثمّ سأل ظافر هالة: هل تعني أنّ هذا الحائط مركب، ويوجد خلفه حائط آخر مثل الذي كان موجوداً في التصميم المعماري للمعابد المتعلقة بالحضارة الهيلينية التي درسناها منذ زمان كبير في الكلية؟

- قالت هالة: نعم أقصد ذلك.

- قال ظافر في فرح شديد: مرحى يا هالة، إنّ النساء لديهم ذاكرة حديدية، لقد كنت نسيت هذه المعلومة رغم أنّني كنت متفوقاً وأحرز دائماً المركز الأول في الترتيب على القسم كل عام.

- قالت هالة متفاخرة: طبعاً، وهل تظنني كنت فاشلة في الدراسة، لقد كنت متفوقة أنا أيضاً.

- قال ظافر في حماس: إذا دعينا لا نضيع الوقت قبل غلق المكان أحضري لي رجاءً أداة فك الحوائط المركبة وفرشاة التليين من الحقيبة وقومي بتوجيه ضوء الكشاف على الحائط ناحية يدي وعكس اتجاه أشعة الشمس.

انهمك دكتور ظافر في محاولة رفع الجدار الأثري الخارجي، وأنهي العملية الصعبة، وكأنّها عملية جراحية فيجب أن يكون حريصاً أشد الحرص حتى لا يصاب الحائط الحجري الخارجي بأي خدش أو تشوه لذلك تلك العملية تتطلب شخصين ومساعد وتستغرق في العادي ثلاث ساعات، لكن دكتور ظافر بخبرته ومهارته، استغرقت منه حوالي الخمس وأربعين دقيقة بمفرده.

وعندما نجح وانتهى من زحزحة الحائط الخارجي المتحرك ظهر خلفه جدار آخر مرسوم عليه كتابات ورموز تكشف لأول مرة.

استلقى ظافر على ظهره، وتساقط العرق من جبينه بغزارة رغم أنّنا في أوج فصل الشتاء من شدة التركيز والمجهود المبذولين، ثمّ نظر إلى ساعته وقفز على قدميه مرة واحدة مثل القط الذي داس على ذيله شخص ما.

وقال في عجالة: لا وقت لدينا لدراسة وبحث ما هو مكتوب الآن يا هالة وللأسف غداً، وبعد الغد سيتم غلق المكان للصيانة.

لتخرجي الكاميرا الخاصة بك الآن أعطيها لي لأخذ صورة للحائط الداخلي ونقوم بتحميضها وتكبيرها لدراستها.

وأخرجت هالة الكاميرا والتقط ظافر خمس صور بعضها أفقي وبعضها رأسي، وبعضها عن قرب وبعضها ابتعد مسافة متر، ومن عدة زوايا جانبية مختلفة، ثمّ قال: هيا يا هالة لنجمع أشياءنا في الحقيبة ونرحل فوراً قبل أن يغلقوا المكان علينا ونحبس هنا.

وفي عجالة جمع ظافر وهالة كل حاجياتهم وانطلقوا مسرعين، وكان حارس الباب واقفاً، وقد أغلق الباب وباشر في وضع القفل الحديدي حتى نادته هالة بصوت عالٍ من على بعد: انتظر يا عم مبروك نحن ما زلنا بالداخل.

ولحسن الحظ أنه قد سمع صوتها وقال: من هناك؟

- قالت هالة: أنا أستاذة هالة ومعي دكتور ظافر.

- قال عم مبروك: حسناً أنا أنتظركم برجاء الإسراع.

ووصل الاثنان، ولكن عندما تفقد الدكتور ظافر الكاميرا لم يجدها، فسأل هالة:

- هل وضعت الكاميرا في الحقيبة؟

- قالت هالة: لا، لقد كانت معك أنت!

- أمسك ظافر برأسه في أسى وقال: لا بد أنني من عجلتي تركتها بالداخل، اعذرني يا عم مبروك سأذهب لإحضارها.

- قال عم مبروك: لكن يا دكتور...

- قاطعه ظافر قائلاً: لا تقلق لن أتاخر، فقط أمهلني خمس دقائق، وإذا تأخرت أغلق عليّ الباب.

أشار عم مبروك أن لا عليك خذ وقتك، وعندما همّت هالة أن ترافق ظافر أشار لها أنه سيذهب وحده فسيكون ذلك أسرع.

فحذرته هالة أنّ الشمس قد غربت ولن يجد ضوءاً كافياً وضوء كشاف مصباحه الصغير لن يكفي للإنارة، ويجب أن تأتي معه لكي تحمل الكشاف الكبير له أثناء بحثه عن الكاميرا.

لكنّ ظافر لم يستمع واندفع إلى الداخل، وعندما تأخر قليلاً قررت هالة الذهاب إليه لمساعدته لولا أن قد ظهر خيال له من بعيد، فاطمأنت أنه قد عاد أخيراً.

ولكن لأنّ ظافر كان يهرول ولم تكن هناك إضاءة كافية تعثر في إحدى الأحجار على المخرج وسقط وسقطت الكاميرا معه وسط صرخة كبيرة من هالة التي شاهدت ما يجري وتجمدت الدماء في عروقها.

وكادت تتحطم الكاميرا على الحجر لولا أنّ ظافر قفز قفزة غريبة في الهواء وأمسك بها في آخر لحظة، لكن ذلك أدى إلى سقوطه بشدة مباشرة على كتفه الذي تضرر بالتأكيد من هذه الحركة المتهورة.

هرعت هالة وعم مبروك إلى ظافر، وقالت في لهفة: هل حدث لك شيء يا حبيبي؟ هل أصابك مكروه؟ رد عليّ أرجوك!

- قال ظافر: لا تقلقي أنا بخير، لكن كتفي يؤلمني بشدة ولا أستطيع تحريكه.

- قال عم مبروك: لا عليك، استند عليّ يا دكتور.

- قال ظافر لهالة: اطلبي لنا سيارة الإسعاف وخذي الكاميرا أمانة عندك حتى يأتي وقتها.

جاءت سيارة الإسعاف وأخذت دكتور ظافر إلى المستشفى. وأصرت هالة أن ترافقه وتم إجراء أشعة على كتف دكتور ظافر، وأظهرت أنه يوجد كسر بالترقوة وسيتم إجراء عملية فوراً للكسر، ويجب أن يظل في الفراش لمدة أسبوعين متواصلين.

ومرت ثلاثة أيام كان خلالها ظافر في قمة التعب والإنهاك، ومعظم الوقت ينام وهو يردد كلاماً غير مفهوم، مثل: الهرم، اللعنة، الكاميرا.

ولم تفارقه هالة هذه الأيام وتنام في السرير الذي بجواره المعد للمرافقين.

وعندما فتح ظافر عينيه وجد هالة نائمة، فلم يشأ أن يوقظها، ووجد في غرفته الكثير من طاقات الورود الجميلة التي أرسلها له محبوه الذين تم

منعهم من الزيارة بسبب حالته الصعبة وقتها وجذب انتباهه مجموعة من طاقات الورود ذات الشكل الفاخر المميز جداً وبالعطر الخاص الذي ينبعث منها يبدو أنّها غالية الثمن، وألقى نظرة على الكارت الموضوع على طاقة الورود وقرأ الاسم المدون عليها، فوجده اسماً غريباً لم يسمعه من قبل "السيدة حسينة باغادير تتمنى لكم الشفاء العاجل" يبدو وكأنه اسم غير مصري.

أفاقت هالة فتبسم لها ظافر، وقالت: عزيزي هل أنت بخير؟

- رد ظافر في رفق: نعم يا عشق قلبي يبدو أنني قد أتعبتك معي كالعادة.

- قالت: لا تقل ذلك فنحن روح واحدة في جسدين، ثمّ قال ظافر وكأنه تذكر شيئاً عاجلاً: ماذا عن الكاميرا، هل هي معك، هل قمتِ بتحميض الفيلم وشاهدت الصور به؟

- قالت هالة: لا، لقد شغلني مرضك عن أي شيء في العالم.

- قال ظافر: أنا الآن بصحة جيدة أرجوك يا عزيزتي أن تبدئي اليوم بتحميض الفيلم للتأكد من عدم حدوث ضرر له عندما وقعت الكاميرا من يدي.

- قالت: حسناً، لا تقلق اليوم سأقوم بذلك فأنا أيضاً في شوق لرؤية ما توصلنا له.

ثمّ نظر ظافر إلى طاقات الورود، وقال: من هي السيدة حسينة باغادير، هل تعرفينها؟

- قالت هالة: لا، لكن كل يوم تأتي ثلاث طاقات من الورود النادرة باسمها، لقد ظننت أنك تعرفت عليها في أحد أسفارك.

- قال ظافر: لا، لم أقابل شخصاً بهذا الاسم من قبل.

- ثمّ طرقت الممرضة الباب في رفق، وقالت: هناك يا سيد ظافر ضيوف مهمون لك، السيد وائل ممثل رئيس الوزراء وسيدة معه تسمى حسينة باغادير.

- التفت ظافر إلى هالة وقال: يبدو إنها السيدة التي أرسلت الورود، ثمّ قال للممرضة: دعيهم ليدخلوا حالاً رجاءً.

دخل رجل عريض المنكبين ذو مهابة في منتصف الأربعين يرتدي بذلة رسمية ويضع دبوساً على الجاكيت على شكل علم مصر، تبدو عليه الفخامة وعلى وجهه ابتسامة جميلة عريضة وهو يحمل في يده طاقة من زهور البنفسج الرائعة، وعلبة من أشهر أنواع الشكولاتة السويسرية الفاخرة، وضعهما بجانب السرير الذي يرقد عليه ظافر، ومد يده إليه مصافحاً قائلاً:

- ألف سلامة عليك أيها البطل.

وكاد يرد ظافر عليه لولا أن رأى سيدة رائعة الجمال بشكل ملفت دخلت في عقبه، طويلة إلى حد ما، وجهها شديد البياض وذات عينين عسليتين زاهيتين وواسعتين كعيون المها، تزينها رموش طويلة زادتها جاذبية تضع في أذنيها قرطين طويلين وترتدي عباءة سوداء عربية وتضع على شعرها طرحة سوداء أيضاً من الطراز الإيراني، تخرج من خلالها خصلة كبيرة

ناعمة ذهبية من شعرها، تستقر على أحد جانبي رأسها، تضع عطراً جميلاً نفاذ الرائحة تشبه رائحة بخور العود الملكي الممتاز، وسرعان ما انتشر عبقها داخل الغرفة.

ظلّ ظافر ممسكاً بيد السيد وائل وهو ينظر إلى السيدة حسينة ولا يتكلم، حتى لاحظت هالة ذلك وشعرت ببعض الانزعاج، لكن رأت من الأولى الآن أن تنقذ الموقف حيث سيتحول إلى حالة من الحَرج للسيد وائل فبادرته قائلة:

- انظر يا ظافر لقد اشترى لك السيد وائل نوع الشيكولاتة السويسرية الذي تعشقه، يجب أن تشكره على ذوقه العالي.

انتبه ظافر وشكر السيد وائل في تلعثم واضح، ثمّ طلب منه الجلوس. لا شك أنّ ظافر شخص بالغ متزن وليس بشاب مراهق أهوج ينجذب بسهولة إلى السيدات الجميلات، خاصة أنه رجل علم وجد واجتهاد، وقد رأى من قبل من هو أجمل من حسينة من الفتيات الأوروبيات ذوات العيون الزرقاء والشعر الأشقر والبياض الناعم لكن هذا الجمال شائع ومتكرر.

أما حسينة كان لها جمال خاص فريد من نوعه، جمال شرقي مثل جمال فاتنات قصص ألف ليلة وليلة، مع أناقة وعصرية عالية المستوى، تواكب تطور هذا الزمان، فرأى خليطاً من الجمال الراقي لم يرَه من قبل، وكأنّه وجد أثراً نادراً وجمع الآثار النادرة واكتشافها هو عشق له قبل أن تكون عملاً، فشعر بإحساس غريب يشده نحوها ويحاول في الوقت نفسه مقاومته خاصة

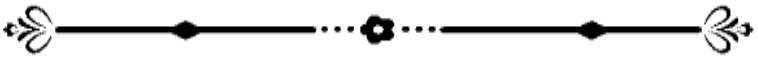

في وجود هالة حبيبة عمره بجانبه في الغرفة نفسها، فحاول استدراك الأمر وقال:

- إنّ مجيئك اليوم لزيارتي يا سيد وائل لشرف كبير لي.

- قال السيد وائل: وهل يوجد من هو أعز ولا أخلص منك لهذه البلد التي خدمتها ورفعت اسمها لتقديره وزيارته في مرضه.

أنا أعتذر، نسيت أن أعرفك بالسيدة حسينة مالكة شركة الرمال الذهبية للسياحة.

لقد أصرت أن تاتي معي عندما علمت أن صحتك قد تحسنت وتستطيع استقبال الزوار.

- قال ظافر وهو ينظر إلى حسينة شكراً لك يا سيدة حسينة على زيارتك وعلى طاقات الورد التي ترسلينها لي كل يوم، إنّ لك ذوق عالٍ فعلاً. أحب أن أعرفك على هالة الأستاذ المساعد في كلية الآثار جامعة القاهرة وشريكتي في كل أبحاثي وخطيبتي.

فرحت هالة عندما ذكر ظافر أنّه خطيبها أمام حسينة التي نظرت إليها في نظرة سريعة متفحصة ثمّ ابتسمت وقالت:

- أهلاً بك يا عزيزتي، يا لحظ الدكتور ظافر السعيد أنّ شريكة عمله وحياته المستقبلية فتاة جميلة وظريفة مثلك!

شكرتها هالة على المجاملة اللطيفة، ثمّ قال السيد وائل لظافر:

- لقد جئت لأخبرك أنّ السيدة حسينة عندما علمت برفض العرض المقدم من شركة إيلان العالمية بادرت بالاتصال بنا وقدمت عرضاً آخر بخصوص إدارة منطقة الأهرامات، بالطبع ليس المبلغ الضخم نفسه لشركة إيلان العالمية، لكنّه مبلغ جيد وسيكون على أقساط، وسينعش خزانة الدولة إلى حدٍ ما، ولا نجد مانعاً من الموافقة، لكن رئيس الوزراء قال: إنّ رأي الدكتور ظافر ذو أهمية وأولوية في اتخاذ القرار، لذا جئت بها معي لتتناقشا سوياً.

وأما الآن فأنا سأترككما بعد أن أطمأننت عليك وقدمت كل منكما إلى الآخر كي لا أضيع وقتاً أكثر من ذلك، وأتمنى أن تصلا إلى اتفاق ما يرضي الجميع.

انصرف السيد وائل، ثمّ نادى ظافر على هالة وتحدث إليها في أذنها بصوت خافت:

- أرجوك يا هالة أن تذهبي الآن لتحميض الفيلم في الكاميرا وتدرسي ما به وترسلي إليّ نسخة في الغد.

شعرت هالة ببعض الضيق لأنّ ظافر بدا وكأنه لا يريد أن تجلس معه في وجود حسينة، لكنّها فضلت أن ترحل بهدوء وألّا تثير أي مشاكل الآن.

بعد انصراف هالة توجه ظافر إلى حسينة وقال:

- هل من الممكن أن تحدثيني عن نفسك أكثر يا سيدة حسينة؟

- قالت: بكل سرور، أنا حسينة باغادير، ثمانية وعشرون عاماً، غير متزوجة، أمي إيرانية وأبي من التركمان، ولدت في إيران، ثمّ رحلت أسرتنا إلى الخليج وأنا عمري عامان ونشأت هناك وتعلمت في المدارس وأتقنت اللغة العربية بجانب الإنجليزية والألمانية والفرنسية، وحصلت على شهادة دكتوراه في إدارة الأعمال، وأسست شركة الرمال الذهبية منذ عام هي شركة جديدة ناشئة ولكنّها طموحة جداً، وأتوقع أنّها ستكون من أكبر الشركات خلال خمسة أعوام، ثمّ سأل ظافر وما مجال عمل شركتكم؟

قالت حسينة: أنا بالأصل سيدة أعمال وأول شركة أسستها خاصة بالإنشاءات العقارية وعندما نجحت قررت أن أدخل مجال السياحة، وأنشأت شركة الرمال الذهبية التي ستصبح أول شركة سياحية متنوعة تهتم بتوفير بجميع أنواع السياحة لعملائها، فاستحوذنا على سياحة الشواطئ في العديد من المدن، مثل: شواطئ دبي، ومنتجعات أبو ظبي، والسياحة العلاجية، مثل: بحيرات الكبريت في اليونان، والآن نأمل بالتوسع في مجال السياحة الأثرية بالحصول على امتياز إدارة منطقة الأهرامات، وبالطبع سنقوم بتطوير وتحديث المنطقة مع الحفاظ على سلامة وأصالة الآثار، باستخدام أحدث الأساليب العلمية وبخلاف المبلغ المالي الذي سندفعه للدولة، ستستفيد أيضاً بزيادة عدد السياح إلى الضعف عن طريق عمل حملة ترويجية عالمية، وكافة تكاليفها نتحملها نحن ولن نمنع أي مصري أو نضع عليه قيوداً في الدخول أو الخروج إلى منطقة الأهرامات، بل

سنطرح اشتراكاً سنوياً بمبلغ في مقدرة كل مواطن يتيح له هو وأسرته زيارة الأهرامات ثلاث مرات في العام الواحد.

نظر ظافر إلى الأرض مفكراً، وهو يحدث نفسه: إنّه فعلاً عرض سخيّ وفي الوقت نفسه سيحافظ على الآثار وعلى سيادة الدولة، ثمّ قال:

- هل ممكن أن ترسلي لي على الإيميل الخاص بي بكل التفاصيل لدراستها بعناية؟

- قالت حسينة: طبعاً بكل سرور، والآن أتركك كي ترتاح قليلاً، لكن هل من الممكن أن تناديني حسينة وأناديك ظافر بلا ألقاب إذا سمحت؟

- تلعثم ظافر وقال وهو يبدو عليه الحَرج: آه طبعاً لا مشكلة.

في صباح اليوم التالي جاءت هالة ومعها نسخة مكبرة من الصور للنقوش على الجدار الذي اكتشفاها، وقالت لظافر:

- عندي خبر جيد وخبر سيّئ.

- قال ظافر: ابدئي بالخبر الجيد.

- قالت هالة: الخبر الجيد أنّ الكاميرا سليمة والفيلم سليم ومعي الصور جاهزة.

- قال ظافر: وما الخبر السيئ؟

- قالت: لقد جلست بالساعات أمام الرموز أفك شفرتها ولكن لم أصل إلى شيء.

- قال ظافر: لماذا؟ هل هي مكتوبة بلغة غير الهيروغليفية؟

- قالت: لا، ليست المشكلة في الترجمة، لكن المشكلة في فهم النص بعد الترجمة.

- تعجب ظافر وتساءل: لماذا؟

- قالت هالة: إنّ الترجمة تقول إنّ السر الأعظم مدفون في بيت الكاهن الأعظم رامون.

وكما تعلم أنّ في هذه الفترة التي كتبت فيها الجدارية وكما هو محفور تاريخ الكتابة عليها كان هناك حوالي أربعون كاهناً، واحد منهم فقط كان هو الكاهن الأعظم هذا، لكن عندما بحثت وجدت أنه لا يوجد أي منهم يحمل اسم رامون، والأعجب من هذا أن رامون اسم غير مصري ولا وجود له أصلاً، ولم يسمَ به أحد من قبل مطلقاً، سواء كان كاهناً أو غير كاهن.

تعجب ظافر وطلب من هالة أن تعطيه الصور وأخذ يتفحصها ويبحث في الكتب ويبحث في شبكة الإنترنت حتى مضت أربع ساعات وهالة تراقبه في شغف، لعلّه يصل إلى شيء، وفي النهاية أخبرها أنّها على حق، وأنّه توصل إلى النتيجة نفسها التي ذكرتها منذ قليل.

- فسألته هالة: وما العمل الآن؟

- رجع ظافر بظهره إلى الخلف وأطلق تنهيدة كعادته عندما يشعر بالإحباط وقال: لا أعلم يا هالة ممكن أن تكون الجدارية مكتوبة لتضليلنا عن الحقيقة.

- قالت هالة: لكن إذا كان ما تقول صحيحاً، فلماذا تم إخفاؤها بهذا الشكل في الهرم؟ أنا لا أتفق معك.

- قال ظافر: لقد بدأت أشعر بالإرهاق والصداع.

- قالت هالة: سأتركك لترتاح إذاً وأعود إليك فيما بعد.

مرت ثلاثة أيام ولم تزر هالة ظافر، وكان هذا غريباً، ولكن ما هو أغرب أنّ ظافر أيضاً لم يسأل عليها، ولم يتصل حتى تليفونياً بها، حتى شعرت بالضيق الشديد لعدم سؤاله عنها كما تعودا أن يكلمها تليفونياً مرتين على الأقل في اليوم الواحد.

وفي يوم من الأيام وقت الظهيرة ذهبت هالة إلى ظافر وهي في حالة شديدة من الحماس والسعادة لدرجة أنها فتحت باب الغرفة التي يوجد بها ظافر دون أن تطرق الباب، وعندما انفتح الباب تحولت سعادتها وحماسها إلى غضب وغيرة شديدة، فلقد عرفت ما الذي كان يشغل ظافر عنها في هذه الأيام، إنها السيدة حسينة تجلس معه تتناول الغداء الفخم الذي أحضرته معها يحتوي على كل الأطباق التي يحبها ظافر، مما يدل أنّ العلاقة بينهما تطورت إلى حدٍ كبيرٍ مريبٍ، عرفت خلاله ما يحب ظافر وما يكره، ووجدتهما يتبادلان الضحك في جلسة كلها ود ومرح.

عندما شاهدها ظافر أحس بالصدمة قليلاً، ثم أسرع ودعاها إلى تناول الغداء معهما.

أما عن رد فعل حسينة أنها نظرت إلى هالة باستياء، كأنها تلومها على قطع الجلسة الجميلة بشكل فج.

لم ترد هالة على ظافر وتجاهلته، وأسرعت بالمغادرة في شكل شديد الحرج لظافر.

لقد شعرت هالة بالإهانة والضياع، هل يا تري باع ظافر قصة حبهما التي استمرت لمدة ثلاثين عاماً بهذه البساطة من أجل حسينة هذه، وهي التي كانت طوال الثلاث ليال الماضية تسهر وتتعب حتى الفجر تحاول فك لغز الكتابة على الجدار، وتبذل ما تستطيع من جهد لإسعاد ظافر بخبر أنها استطاعت حل اللغز وراء هذه الكتابة، ولذلك انشغلت عنه الفترة الماضية لتجد فتاة أخرى تهتم به ويقع في حبها!

شعر ظافر من ناحيته أنه أخطأ في حق هالة، لأنه لم يتواصل معها في الفترة الماضية ولو تليفونياً واستنتج بالطبع أنها شعرت بالغيرة والغضب عندما رأته مع حسينة، لذا حاول الاتصال بهالة خمس عشرة مرة، لكنّها لم ترد على مكالماته، فقرر أن ينتظر إلى الغد، حيث وافق الطبيب على خروجه من المستشفى لتحسن حالته، ويقوم بزيارة مفاجئة لها، ومعه هدية غالية الثمن لاسترضائها.

وفي خطوة لزيادة التمويه قرر استقلال سيارة أجرة حتى لا تشاهد هالة سيارة ظافر تنتظر تحت منزلها، ثمّ صعد على السلالم إلى الدور الثالث في الوقت الذي يعرف أنّ هالة موجودة فيه بالمنزل بعد انتهاء عملها بالجامعة،

وطرق الباب ثلاث طرقات، ثم تنحى جانباً قليلاً كي لا يظهر وجهه في عدسة العين السحرية بالباب، حتى لا تراه هالة وعندما سمعت صوت الطرقات سألت من بالباب، فهي لم تعتد الزيارات، ولكن لم يرد أحد فظنت أنه عامل جمع القمامة جاء ليأخذ ما لديها وطرق الباب، ثمّ ذهب إلى الجيران ليطرق الباب عليهم ريثما تخرج كيس القمامة من المطبخ، وعندما اقتربت من الباب نظرت من العين السحرية فلم ترَ أحداً، لكنها شمت رائحة عطرية تشبه رائحة عطر ظافر المميزة، فشكت في حضوره، لكنّها استبعدت هذا الاحتمال لأنّ المقرر خروجه كما تعلم بعد يومين بالإضافة إلى أنّ رائحة القمامة التي أحضرتها من المطبخ لإعطائها لعامل القمامة غطت قليلاً على رائحة العطر، وجعلت التأكد من نوعه صعباً.

فتحت الباب وفوجئت بظافر يقف في أناقة شديدة مبتسماً ابتسامة ساحرة، ومعه كيس فاخر يدل على أنه أحضر هدية ثمينة معه.

وقفت هالة لثوانٍ صامتة وعلى وجهها يظهر الامتعاض، ثمّ دخلت إلى البيت مرة أخرى دون أن تقل شيئاً، وتركت الباب مفتوحاً خلفها، فدخل ظافر وقال مازحاً: أهكذا تعاملين الضيوف تتركيهم على الباب بدون حتى سلام، لن يكون ذلك التصرف مقبولاً عندما نتزوج.

- حاولت هالة إخفاء ابتسامتها وقالت: ما الذي جعلك تتذكر أنّ لك خطيبة وتتعب نفسك وتأتي إلى هنا؟

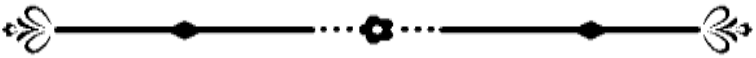

- قال ظافر: أنا آسف يا حبيبتي، أعترف بالتقصير في حقك، أرجو أن تسامحيني وتقبلي هديتي.

- فقالت: وهل هذه الهدية من اختيارك أم من اختيار حبيبة القلب؟

- تعجب ظافر قائلاً: من هي حبيبة القلب؟ لا توجد حبيبة لي سواك!

- قالت غاضبة: أقصد حسينة.

- قال ظافر: لقد تعودت يا هالة على الصراحة معك، لا أنكر أنني قد أعجبت بحسينة بالغريزة وانبهرت بها للوهلة الأولى، لكنّني جلست مع نفسي وراجعت الموقف، وتأكدت من أخطائي فلا سبيل أبداً للمقارنة بين شريكة العمر والطفولة أعز ما لدي وأغلى ما أملك بواحدة مثل حسينة لمجرد كونها امرأة جميلة، بل أنت يا هالة كل حياتي الحالية والمستقبلية، أنا لا أتخيل العالم بدونك لحظة، سأشعر وقتها كأنّني يتيم على مائدة اللئام كما يقول المثل، أنت حبي الأول والأخير ولا حب بعدك، ولقد قررت أن أعجل بموضوع زواجنا، فأنا لن أنتظر حتى أصبح ثرياً وأنشر كتبي وأبحاثي الجديدة، سنتزوج بمجرد انتهاء مهمتنا في اكتشاف سر الكتابة على الجدار الذي وجدناه.

ترقرقت دمعتان خفيفتان في عين هالة وأحست بعاطفة جياشة جعلتها تبدأ في البكاء.

ما أشد براءة النساء بكلمة تغضب كالبركان وبكلمة تكون كقط وديع وكبلسم شافٍ يريح النفس.

ربت ظافر على كتفها وقال: امسحي هذه الدموع يا هالة، فأنا لم آتِ إلى هنا كي تبكي، بل جئت كي أخبرك هذا الخبر السعيد كي تفرحي وتسعدي.

مسحت هالة دموعها وقالت:

- أنا أيضاً لدي خبر سعيد لك.

- قال ظافر: حقاً ما هو؟

- قالت: لقد اكتشفت سر الكتابة على الجدار وعرفت من هو الكاهن الأعظم رامون.

لم يصدق ظافر ما تسمعه أذناه، وقال:

- حقاً يا هالة، هل أنت واثقة مما تقولين؟

- قالت: نعم، في الوقت الذي كنت أنت تقضيه في اللعب والمزاح مع حسينة، كنت أقضي الليالي المتواصلة في البحث لحل هذا اللغز، وتوصلت إلى أنّ الكاهن الأعظم هو "راع آمون" وكما تعلم أنّ المصريين يشبكون بعض الكلمات ببعض ويقومون بدمجها لتصبح كلمة واحدة حتى عصرنا الحالي مثل كلمة عرضحالجي هي دمج لكلمتي عارض الحالة، لتسهيل نطقها وكتابتها وهو ما حدث مع اسمه تم دمج راع آمون لتصبح رامون، وعندما بحثت عن الكاهن راع آمون وجدت أنّ هناك كتابات تؤكد تقدير وإجلال الكهنة والملوك له، وتتحدث بردية أخرى عن ترأسه وفد الكهنة إلى بلاد بنط، كما أنّ وفاته الغامضة تتوافق مع قصة وفاة الكاهن الأعظم ومدة وتاريخ ذكره يتوافق مع هذه الفترة.

- اتسعت عينا ظافر في ذهول وصاح في صوت عالٍ: أنت عبقرية يا هالة، أنت كنز لا يقدر بثمن! كيف لم أنتبه إلى إمكانياتك ومهاراتك العلمية الثمينة هذه مبكراً، لو كنا متزوجين لكنت احتضنتك وقبلتك بشغف حالاً.

- احمر وجه هالة خجلاً وقالت ممازحة تتصنع الغرور: نعم أنا قطعة من الذهب يكسوها بعض التراب. ظافر هل تحقق لي طلباً؟

- قال: بكل تأكيد لن أرفض لملكتي المتوجة أي طلب مهما كان.

- قالت هالة في خبث: مهما كان؟

- قال ظافر: طبعاً بلا جدال.

- قالت: إذاً أرجوك لا توافق على عرض حسينة لإدارة منطقة الأهرامات.

- ابتسم ظافر قائلاً: أنا بالفعل أرفض هذا العرض، لكن في الحقيقة ليس لأنك طلبت ذلك مني، السبب الرئيس للرفض هو أنه أثناء قيامي بالتحري عن شركة الرمال الذهبية المؤسسة حديثاً وجدت أنّ هناك شركاء آخرين مجهولي الهوية والجنسية مع حسينة في هذه الشركة، والمبالغ الضخمة التي عرضتها حسينة لا تتناسب مع ميزانية وحسابات الشركة الناشئة بالبنوك، مما أثار لدي شكوكاً عن تلقيها تمويلاً خارجياً مجهول المصدر، كما شعرت أثناء حديثي مع حسينة أنها غير متخصصة في مجال الآثار، وأنّ هناك مديرين أجانب متخصصين سيتولون اتخاذ القرارات بالإجماع، وأنّ صوتها سيكون مجرد صوت في مجلس الإدارة.

- فرحت هالة جداً وقالت: هذا أفضل خبر سمعته منذ فترة طويلة، لكن هل أخبرت حسينة بقرارك؟

- قال ظافر: لا، ليس بعد، سأخبرها في الغد.

عقد ظافر اجتماعاً حضره ممثل رئيس الوزراء والسيدة حسينة وأخبرهم بقراره بعد استعراض الأسباب ووافق السيد وائل على قرار ظافر خاصة بعد أن لاحظ امتناع السيدة حسينة عن الإفصاح عن أسماء الشركاء والمديرين الأجانب ومصادر التمويل لشركتها، وبعد انتهاء الاجتماع ذهب ظافر إلى حسينة لتطييب خاطرها بعد أن بدا عليها الانزعاج من قراره.

وقال لها: أرجو ألّا تأخذي الأمر بشكل شخصي، أنت من أفضل الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي، لكنّ ضميري واحترافيتي في العمل وثقة البلاد بي تحتم عليّ اتخاذ مثل هذا القرار.

سكتت حسينة قليلاً وكأنها تفكر في أمر ما، ولأنّها امراة ذكية قالت:

- أنا فعلاً منزعجة من القرار، لكنّني بالطبع غير منزعجة بشكل شخصي منك، بل إنك ازددت تقديراً ومكانة في عيني لحبك وإخلاصك لبلدك، لكن لدي طلب أتمنى وأصر أن تحققه لي على الأقل.

- قال ظافر: بالطبع أنا طوع أمرك.

- قالت: إذا كان هذا المشروع الضخم الذي تم رفضه أطاح بأحلامي، فهل من الممكن أن تعوضني عنه بأن أحضر معك أنت وهالة رحلة الاستكشاف بالهرم الأكبر، وأقوم بتصويرها وتوثيقها ونشر الحدث على

منصات التواصل الاجتماعي لدي بعد عمل المونتاج كترويج للخدمات السياحية التي تقدمها شركتي، أنت لا تعلم مدى الدعاية التي سأحصل عليها من ذلك أتوقع أنها ستجذب الزبائن وستتضاعف أرباح شركتي، وبالطبع لك نصيب كبير من الربح صدم ظافر من طلب حسينة وقال:

- أنا لا أريد أي أرباح إذا سار الأمر، لكن هل تسمحين لي بفرصة لأفكر فيما قلتِه؟

- قالت حسينة: أرجوك أن تقبل فهذا هو آخر أمل لي، وأعدك ألّا أطلب شيئاً آخر، وسأرحل إلى بلادي بمجرد انتهاء الاكتشاف، أرجوك ساعدني كي لا أعود إلى بلادي منكسرة الخاطر بخفي حنين.

تردد ظافر قليلاً، ثمّ وافق على مضض لأنّه ولأول مرة يشاهد حسينة في هذه الحالة من الضعف فرق قلبه لها.

لكنّه اشترط أولاً أن يوافق السيد وائل، وأن تذهب الأرباح بالمناصفة إلى خزينة الدولة، وأن تكون هي بنفسها من يقوم بالتصوير ولا تستعين بأي شخص آخر معهم في داخل الهرم، وهي الشروط التي وافقت عليها على الفور وبدت سعيدة جدّاً.

حارَ ظافر كيف سيبلغ هالة بما حدث وبقرار مشاركة حسينة لهما في رحلة الاكتشاف التاريخية، فذهب إلى بيتها وهو متردد، لكن الأمر أصبح واقعاً لا يفيد الهروب منه أو تأجيل مواجهتها به

عندما رأته هالة بالباب فرحت جدّاً وفتحت له، ثمّ قالت: هيا أخبرني بالخبر السعيد هل أخبرت حسينة بقرار الرفض؟

- قال ظافر في قلق وبنبرة خافتة: نعم أبلغتها.

- فلاحظت هالة قلق ظافر، وقالت: إذاً ماذا بك لماذا تبدو متوتراً؟

- قال: لدي خبر آخر لن يكون سعيداً لك، لكن من أجل حبنا أرجوك أن تتقبليه بصدر رحب، ثمّ أخبرها بمشاركة حسينة لهما.

تغير وجه هالة من الفرحة إلى الغضب، لكنّها لم تعلق، وذهبت بعيداً إلى ركن الغرفة، فقام ظافر من مكانه وتوجه إليها وأمسك بيدها، وقال:

- أقسم لك أنه لا يوجد في قلبي ذرة عشق لأحد سواك، وأن القرار كان قرار عمل احترافي بحت لا علاقة له بالمشاعر، وأريد أن أبشرك أن حسينة بالفعل حجزت تذكرة على طائرة المغادرة بعد غد لأنّها ستسافر مباشرة بعد تصويرها الحدث، ولن نرى وجهها مرة أخرى، وأنا من ناحيتي أجهز أيضاً لإتمام زفافنا وكتب عقد الزواج في اليوم نفسه.

- هدأت هالة قليلاً، وأشارت برأسها بالموافقة في فتور، وقالت: حسناً ما هي الخطوة القادمة في بحثنا أين سنبدأ البحث غداً؟

- ارتسمت علامات الجدية على ظافر وقال: إنّ الجدارية المحفورة في الحائط كانت تقول إنّ السر مدفون في بيت الكاهن الأعظم رامون، وبالطبع نحن الآن على علم بمن هو الكاهن الأعظم راع آمون، وعندما بحثت وتقصيت علمت أنّ موقع بيته هو موقع تمثال أبي الهول، بمعنى أنّ البيت

دفن في الأرض، وأقيم التمثال فوقه، وأنا أعتقد أنّ هذا كان مقصوداً لإخفاء الكنز الذي سنكتشفه.

- قالت هالة: استنتاج رائع، أنا لا أطيق الانتظار حتى الغد لهذا الحدث العظيم.

- قال ظافر: وأنا مثلك شديد الشوق، لكن لنحظَ بقدر من الراحة، وننم الليلة مبكراً، ونلتقي غداً عند الهرم الأكبر في التاسعة صباحاً، ثمّ ودعها ظافر وانصرف.

في هذه الليلة لم يستطع ظافر النوم مبكراً، بل ظلّ يفكر في الغد، وما سيحدث فيه حتى ساعة متأخرة.

ولا يعلم لماذا ولأول مرة يشعر بخوف وقلق كبيرين وصوت ما في عقله يقول له: لا تذهب في الغد، حتى غلبه النوم وشاهد كوابيس كثيرة المشترك بينها وجود أفعى سوداء كبيرة تبث سمها في وجه هالة وهي تصرخ تطلب مساعدة ظافر وهو مكتوف اليدين لا يستطيع تحريكها.

في تمام التاسعة وصل ظافر إلى المكان ووجد هالة وحسينة تقفان في انتظاره، وألقى السلام عليهما، وكان يبدو عليه الإرهاق الشديد حتى أنّ هالة سألته: ماذا بك يا عزيزي هل أنت مريض؟

- أجاب ظافر: لا أنا بخير فقط لم أنم بشكل جيد، هل أنتما مستعدتان للبدء؟

- قالت حسينة: بالطبع نحن ننتظرك في شوق للانطلاق في رحلة الاكتشاف العظيمة.

- قال ظافر: حسناً، وأخرج خريطة من يده وقال: سندخل من الهرم الأكبر، ثمّ ندلف إلى السرداب السفلي الموصل إلى تمثال أبي الهول، ثمّ نبدأ بالحفر حتى نجد ما نريد.

- قالت حسينة: أليس من الأفضل أن نحفر مباشرة تحت تمثال أبي الهول من الخارج؟

- رد ظافر: إنّ التمثال كبير الحجم، ولا أعلم من أين نبدأ وسيكون الحفر مجهداً وصعباً، أما هذا السرداب يؤدي بالفعل إلى وصولنا للموقع المطلوب، فقط سنحتاج إلى المزيد من الحفر، بمعنى أنّ هذا أفضل طريق يختصر المسافة والوقت والمجهود.

- قالت حسينة: نعم فهمت، يا لك من عالم جليل! يجب عليّ أن أثق بك وأنا مغمضة العينين.

امتعضت هالة من مجاملة حسينة لظافر، وكأنّها تقول ها قد بدأنا وجع القلب.

عندما دخل الثلاثة مدخل الهرم الأكبر أخرجت حسينة كاميرا غريبة الشكل وكبيرة الحجم، نظر لها ظافر في تعجب وعندما لاحظت حسينة ذلك قالت: إنّها أحدث أنواع الكاميرات الديجيتال لم تطرح بعد في الأسواق، قادرة على التصوير بدقة فائقة وتحقيق أعلى جودة وتشبع للألوان في أحلك

المناطق، كما أنّ بطاريتها تعمل لمدة يومين متواصلين بدون الحاجة لشحنها ومن الممكن شحنها بالطاقة الشمسية.

لا يعرف ظافر لما أثارت هذه الكاميرا الريبة في قلبه، فلقد تذكر إيلان واختراعاته العجيبة، لكنّه تجاهل الأمر وقال: حسناً لنبدأ الآن.

سارت هالة وظافر في المقدمة وخلفهما حسينة تقوم بالتصوير بكاميرتها الحديثة حتى وصلوا إلى باب السرداب، وقال: الآن أخفضا رأسيكما، لأننا سندخل إلى ممر ضيق منخفض السقف وكان ممراً طويلاً إلى حدٍ ما ومظلم تماماً، لذا أضاء الجميع كشافاتهم وشعروا بصعوبة في التنفس لأنهم كانوا ينزلون إلى الأسفل وكلما اقتربوا ضاق المكان أكثر وقل الأكسجين المتوفر حتى وصلوا إلى نهايته.

قال ظافر: لقد وصلنا إلى أصعب جزء. تحديد المكان الذي سنبدأ فيه الحفر بالضبط، لكن من دراستي لعادة المصريين القدماء لقد اعتادوا بناء مداخل بيوتهم في اتجاه الشمال الشرقي لذا سأبدأ بالحفر في هذا الاتجاه، وأتمنى ألّا أكون مخطئاً.

بدأ ظافر بالحفر الذي استمر لمدة ساعة تقريباً حتى اصطدم فأسه بشيء ما، فأحس أنّه قد اقترب من الهدف، فترك الفأس وطلب من حسينة وهالة أن تساعداه في إزالة ما حول هذا الجسم بفرشاة إزاحة الرمال.

استغرق الأمر عدة ساعات حتى ظهر باب خشبي أمامهم، فتحه ظافر ليجد غرفة مجوفة فارغة لا يوجد بها سوى تابوت قديم متهالك.

دخل ظافر وخلفه هالة وحسينة وحاول بحرص فتح الغطاء فوجد نصف هيكل عظمي غير محنط سوى جزء من الوجه الذي يبدو عليه الفزع الشديد مما يتفق مع البردية التي تحكي أنّ جسد الكاهن الأعظم لم يتم تحنيطه بسبب تحلل الجثة، ما عدا الوجه وعلامات الفزع الظاهرة على ملامح الوجه تدل على بشاعة الميتة وهول ما رأى الكاهن الأعظم في آخر لحظات حياته في منظر صعب جداً.

أمر ظافر هالة وحسينة ألا تنظرا إلى داخل التابوت لسوء وبشاعة المنظر، ووجد بجانب الهيكل العظمي حجراً أبيض لم يشاهد مثله من قبل عليه رموز مكتوبة، وبرديتين طويلتين وضعهم جميعاً في رفق في كيس خاص، ثمّ وضعهم في الحقيبة، وقال في لهجة جادة جداً لكن بصوت هامس جداً:

تحركا ببطء إلى الخارج وتكلما بصوت منخفض، لأنّ المكان متهالك بشدة والسقف الخشبي يمكن أن ينهار في أي لحظة بفعل ضغط وزن الرمال التي دفنت تحتها الغرفة وتسرب الهواء داخلها نتيجة فتح بابها جعل السقف يبدأ في التخلخل ويقترب من الانهيار.

وبالفعل أمسكت هالة بيد ظافر وتحركا ببطء شديد، حتى خرجا من الغرفة، لكن حسينة ما زالت في الداخل لم تخرج بعد، فناداها ظافر للإسراع بالخروج، لكنّه فوجئ بها على باب الغرفة من الداخل، وقد أخرجت مسدساً وقالت: انتهى الآن دورك يا دكتور ظافر، أعطني ما بالحقيبة بهدوء وإلا أطلقت الرصاص عليكما فوراً.

- قالت هالة مذهولة: ماذا بك يا حسينة هل جننت؟

- قاطعها ظافر قائلاً: لا عليك يا هالة، لقد فهمت الآن لكن متأخراً جداً، لقد تذكرت أين رأيت العلامة التجارية الموجودة على الكاميرا الغريبة الخاصة بك، هي علامة خاصة بشركات إيلان العالمية.

- قالت حسينة: أحسنت أيها المتذاكي، أنا بالفعل إحدى الموظفات عند السيد إيلان، قد كلفني بمهمة الحصول على الاكتشاف العظيم للكاهن الأعظم بأي طريقة بعد أن علم أنك السبب في رفض عرض شركته بالحصول على امتياز إدارة الأهرامات، ليبحث عنه بنفسه كما يحلو له ووعدني بمكافأة ضخمة في مقابل ذلك، وأعطاني هذه الكاميرا التي أخفيت في داخلها مسدسي الخاص، والآن كفى كلاماً وأعطني ما أريد.

- قال ظافر: ومن أخبرك أنني سأعطيه لك تحت أي ظرف؟

- قالت حسينة: لا تختبرني فلن أتردد أبداً في إطلاق النار عليكما، سأعد حتى ثلاثة وأطلق النار هذا تحذير أخير إن لم تعطني ما أريد؟

كان الإرهاق والمجهود جعل عقل ظافر يتوقف عن التفكير، فلم يعد يعرف ماذا يفعل مع هذه المجنونة في مكان ضيق كهذا معرض للسقوط فوق رؤوسهم في أي لحظة تحت 500 متر من سطح الأرض، وحاول أن يعتصر ذهنه بلا جدوى، وحسينة بدأت العد حتى سمع كلمة ثلاثة وصوت إطلاق النار، لقد حدثت الكارثة!

الفصل السادس

كشف الحقيقة

"قد لا يكون وجه الحقيقة جميلاً، لكنّه صادق"

التالي هو محتوى البردية الأولى التي وجدت مع جثة الكاهن الأعظم كتبها مؤرخ مجهول واكب الأحداث

مصر ١٢٢٥ قبل الميلاد:

تموضع الجيشان الآشوري والفينيقي كالكماشة المحكمة حول أرض مصر العظيمة لخنقها، وكانت أعدادهم كالجراد لتحطيم هذه الحضارة العظيمة، وقد اجتمع قائد الجيش الفينيقي رام والآشوري آشوريا في خيمة الحرب لوضع اللمسات النهائية للهجوم.

- قال رام: لقد جاءت رسالة غريبة من كازان هذا الخبيث يقول إنّ شيئاً ما غامضاً يحدث، وإنّ الملك زوسر أصيب بالجنون، فهو يعيش في عالم آخر. شعبه سيباد بعد ساعات وهو يقيم الحفلات ويذهب في رحلات صيد.

- قال آشوريا: هل تعتقد أنّ هذه خدعة من كازان؟

- قال رام: لا أعتقد ذلك فهذه فرصة كازان الذهبية لحكم مصر بعد أن وعدناه إذا ساعدنا على احتلال البلاد، فإننا سنقوم بتعيينه والياً عليها، وهو جشع لن يفرط في هذا الحلم الذي كان يراوده منذ أن فشلت محاولة

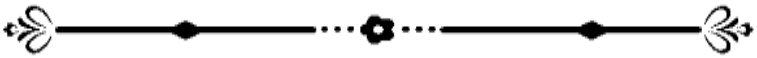

الانقلاب التي دبرها على زوسر الثاني، بعد أن قتل والده بجرعات السم التي كان يضعها في الخفاء له في غذائه حتى توقف قلبه، ولولا أنّ الجيش يحب زوسر ووالده سحوت ومخلص لهما لم يشارك في الانقلاب سوى أربعمائة جندي فقط، مما جعل كازان يتخلى عن محاولة الانقلاب في آخر لحظة بعد أن رأى فشلها الحتمي، بل ادعى أنه هو من اكتشف المؤامرة وأمر فوراً بقطع رؤوس الجنود المتآمرين بدون حتى سماع أقوالهم قبل أن يفضحوه مدعياً أنّ سرعة تنفيذ الحكم ستعطي الملك زوسر صورة المهابة والقوة.

ووثق به الملك زوسر من وقتها ولم يتخيل للحظة واحدة أنه جاسوسنا الخفيّ الذي تواصل معنا وأطلعنا على خطته الجهنمية، وأننا يجب أن نتحرك فوراً للهجوم على مصر بينما هو يقنع الملك زوسر بإرسال كل الجيش دفعة واحدة إلى النوبة لإخلاء الطريق لنا، لقد ظل هذا الحقود يكتم كرهه وحقده للملك زوسر طوال مدة عشرين عاماً منذ فشل الانقلاب منتظراً الفرصة المناسبة وها قد أتت له على طبق من فضة.

قال آشوريا: نعم أتفق معك، وقد أكد جاسوس لي أيضاً خبر أنّ الجيش المصري ما يزال في النوبة، ولن يعود قبل عشرة أيام نكون قد أنهينا ما نريد وسيطرنا على البلاد، لذا أرى أن نبدأ غداً الضرب بقوة ولا ندع شخصاً أو حيواناً أو طيراً على قيد الحياة على أرض مصر.

أشار رام برأسه دليلاً على الموافقة ببدء الهجوم.

تحت أشعة الشمس المحرقة وقف الجيش المصري الصغير المكون من ألفي جندي بالقرب من هرم زوسر المدرج منتظراً في تحفز وشوق وهو على أهبة الاستعداد لصد الهجوم الكاسح المتوقع من العدو في أي لحظة، ووقف في المقدمة الملك زوسر الخامس وبجانبه الكاهن الأعظم، وخلفهما قائد الجيش كازان الذي كاد يجن، فالملك والكاهن الأعظم يتحدثان معاً بصوت منخفض باستمرار ولا يستطيع أن يسمع ما يقولان، والأغرب من ذلك أنّ الملك أمر بتسليح الألفي جندي بالقوس والسهام فقط، وترك جميع السيوف الأسلحة الأخرى ما عدا العجلات الحربية والخيول ليستطيع الجنود ملاحقة فلول جيش العدو بعد انهزامه، وأخذ كازان يضرب كفاً بكف، فكيف يتصور الملك أنّ ألفي جندي سينتصرون على خمسين ألفاً ويطاردون فلولهم أيضاً هل هي حركة خطط لها لإشاعة الحماسة والإيجابية لدى الجنود؟

وظهرت مقدمة الجيش الجرار للفينيقيين والآشوريين، فذهب كازان وطلب من الملك أن يبدؤوا الهجوم على المقدمة المكونة من خمسة آلاف جندي التي ظهرت قبل لحاق باقي الجيش بها وتجمعهم كقوة ضاربة، لكن على غير المتوقع رفض الملك زوسر هذا الاقتراح المنطقي، بل وقال: إنّ فرصتنا ستأتي عندما يتجمعون كلهم في منطقة واحدة، ثمّ مال نحو الكاهن الأعظم الذي قال له شيئاً ما في أذنه، ثمّ توجه لكازان وقال: اطلب من الجيش أن يتوجه ناحية الهرم المدرج، ويستدرج الجنود إلى هناك، ثمّ ودع

الكاهن الأعظم الملك وذهب إلى الهرم المدرج وبدأ في التسلق للصعود إلى أعلى قمته، وعندما اقترب تجمع جيش العدو من الهرم المدرج رفع الكاهن الأعظم عصاه في السماء، وأخذ يردد كلاماً غريباً، تعويذة ما بصوت عالٍ جداً، وكازان ينظر ولا يعلم ماذا يحدث، ثمّ فجأة امتلأت السماء بالغيوم السوداء ودوى صوت برق شديد مرعب في المنطقة على الرغم من أنهم في ذروة فصل الصيف، ثمّ وجد فجأة أفراد الجيش الضخم للأعداء وهم يرتفعون في السماء بعدتهم وعتادهم وخيولهم وعجلاتهم الحربية، لقد أصبح الجيش كله يطفو في الهواء بمعنى الكلمة، فاقداً القدرة على الحركة والاتزان وسط ذهولهم.

أمر الملك زوسر فوراً الجنود أن يمطروهم بالسهام بلا رحمة وهم في وضع شللٍ تامٍ، ولم يضيّع الجنود المصريون الأشداء الوقت ونزلت سهامهم على الأعداء كسيل من الطوفان، لقد قتلَ ألفا جندي في ساعتين أكثر من ثلاثين ألفاً، وكلما نفد مخزون السهام أحضروا غيره.

لكن بعد فترة يبدو أنّ مفعول اللعنة قد زال، فعاد ما تبقى من جيش الأعداء إلى الأرض، الكثير منهم قرر الفرار من هول ما رأى، والباقي استعاد اتزانه وهجم على الجيش المصري الذي التحم معه في بسالة حتى قتل ابن الملك زوسر نفسه في هذا الهجوم المرتد.

نظر الملك إلى الكاهن الأعظم ليتصرف فكرر الكاهن ترديد اللعنة، وتكرر ما حدث مرة أخرى وارتفع ما تبقى من جيش العدو في السماء

مشلول الحركة، ليكمل الجنود مهمتهم ويبيدوهم عن بكرة أبيهم، وامتطى بعض الجنود المصريين الخيول وركبوا العجلات الحربية لمطاردة من فرّ من الأعداء.

هدأ غبار المعركة ليصبح المشهد على أرض المعركة، آلاف مكومة من جثث الأعداء وجثتان فقط من الجيش المصري إحداها تعود لابن الملك زوسر الذي حمل الملك جثته على كتفه عائداً به إلى القصر ليدفنه هناك، وذهب الكاهن الأعظم إلى القصر لحضور مراسم الدفن وإقامة الصلوات على روحه، وعندما قابل الملك قام بتعزيته وتأسف له قائلاً: إنّ قوة الهرم المدرج أضعف من الهرم الكامل الذي يجمع طاقة اللعنة في نقطة واحدة هي رأس الهرم، لأنّ جوانب الهرم المثلثة المكونة للهرم الكامل تتحد في نقطة واحدة، مما يعطي قوة أكبر للعنة لذا لم تستمر لفترة كافية، بسبب تدرج الهرم ومن يومها أمر الملك ببناء أهرامات كاملة فقط، والامتناع عن بناء أهرامات مدرجة وسار على خطاه جميع ملوك وفراعنة مصر اللاحقين.

أما عن كازان فقد وجدوه ملقى على الأرض في صدمة تامة أصابته بشلل نصفي، وفقد القدرة على الكلام ووجدوا مع بقايا جيش العدو رسائله التي كان يرسل فيها أخبار الجيش لهم مختومة بالخاتم الخاص به، فعرفوا أنه الجاسوس الخائن وأمر الملك في أحد الاحتفالات الجماهيرية التي أقامها لمدة شهر كامل أن يقطع رأسه بحضور الجميع كعبرة وعظة لهم توضح مصير الخائن مهما بلغت مكانته.

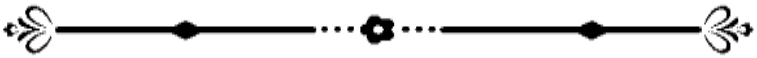

البردية الثانية بردية الموتى كتبها الكاهن الأعظم راع آمون (رامون)

أنا الكاهن الأعظم وكبير السحرة وكاتم أسرار الملك زوسر الخامس، أنا راع آمون نشأت في بيت سيدي سحوت الأول الذي رباني وعطف عليّ وأكرمني بعد وفاة أبي وأنا صغير، وقد قررت أن أكرس وقتي للكهنوت وعلم الفلك والسحر والأبراج حتى أصبحت في سن صغيرة عليماً بكل ما يتعلق بعلم النجوم والأفلاك.

وفي يوم من الأيام التي يظهر فيها مذنب الشفق القطبي انفتحت لي بوابة تصل بين عالم الإنس وعالم الشيطان الأكبر، بوابة جهنم، وقابلت الشيطان في صورته الحقيقية، وأخبرني أنه اختارني أنا بالذات لعلمي ومكانتي ليعطيني سراً من الأسرار، تعويذة ذات قوى خارقة تجعل مني ملك ملوك الأرض، بشرط إذا استخدمت هذه التعويذة يتوجب عليّ بصفتي الكاهن الأعظم أن أتوجه بالعبادة للشيطان وأبني المعابد التي تقدسه والتماثيل التي ترمز إليه وتمجده، وأدعو الناس ليسجدوا له ويتبعوا هذا الدين الجديد دين عبادة الشيطان، وأنشره بينهم وأقيم الصلوات والطقوس باسمه، لكنّني لم أفكر أن أستخدم هذه التعويذة طوال حياتي قط، ومرت السنون الطوال حتى ظننت أنني لن أحتاجها أبداً، لكنّني قررت كتابتها على حجر أبيض أخذته معي من بوابة جهنم كي لا أنساها، لا أعلم لما فعلت ذلك ربما شهوة السيطرة والتملك أن تكون الأشياء في يدك تحت رهن إشارتك سواء

استخدمتها أم لا، حتى جاءت اللحظة المشؤومة التي اضطررت فيها لاستخدام التعويذة.

لقد مرت البلاد بوقت عصيب لدرجة أنّ ملكنا العظيم زوسر الخامس الذي حكم العالم كله كان يبكي بكاء الأطفال لأنه سيسجل في التاريخ أنه الملك الذي لم يحافظ على أمجاد أجداده وأضاع شعبه وبلاده.

لم أستطع تحمل رؤية هذا القائد الكبير في هذه الحالة الملك الذي ربيته على يدي وكنت أعتبره بمثابة ابن لي، بعد أن أكرمني والده الذي توفي في سن مبكرة بدون سابق إنذار. ولا أستطيع أن أتخيل للحظة كونه أسيراً لدى العدو ولا رؤية حضارة بلادنا العظيمة التي تم بناؤها في سنوات طويلة تتحطم في أيام قليلة ولا مشاهدة رجال شعبنا ونسائه قتلى أو أسرى مذلولين في يد الفينيقيين والآشوريين، لذا لم أجد بداً من استخدام التعويذة، لأنقذ بها البلاد من الخطر القادم، وأخبرت الملك أنّني توصلت إلى تعويذة ستنقذ جيشنا وبلادنا من الإبادة، وبالطبع وثق بي كما تعود دائماً، لكنّني لم أخبره بشروط الشيطان في حالة استخدامنا لها.

وعندما جاء يوم المعركة صعدت على قمة الهرم ورفعت عصاي إلى السماء وتلوت التعويذة لتحقق نجاحاً باهراً، فلقد استطاع جنودنا رغم قلة أعدادهم إفناء جيش الأعداء الضخم في خلال ساعات قليلة، وتحقق نصر كبير مؤزر سيمجده التاريخ في صفحاته.

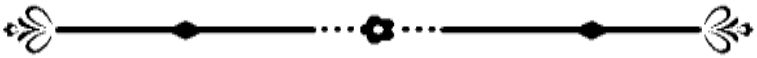

وبعد مرور شهر على المعركة الخالدة وأنا أتعبد في ظلمة الليل وحيداً، وأتلو صلواتي في المعبد جاءني الشيطان الماكر ليذكرني بشروط استخدام التعويذة وأنه يجب أن أبدأ بعبادته وأبني له التماثيل والمعابد وأدعو الناس لعبادته أيضاً، لكنّني رفضت في قوة وأخبرته أننا شعب مصر الأبيّ رفضنا أن نكون عبيداً للفينيقين والآشوريين، فهل نرضى أن نكون عبيداً للشيطان!

غضب الشيطان غضباً كبيراً وهددني أنني سأموت ميتة شنيعة إذا لم أنفذ الاتفاق خلال ثلاثة أيام وأنّ هذه التعويذة ستتحول إلى لعنة على أهل مصر كلهم ويصيبهم الجفاف والمجاعة والأمراض والأوبئة.

وها أنا الآن في اليوم الثالث من المهلة التي منحني إياها الشيطان أكتب لكم ما حدث، أحذركم من استخدام هذه التعويذة التي أصبحت لعنة لمن يستخدمها بعد أن رأيت الغيوم والصواعق تتجمع فوق بيتي وأرى الآن الشياطين المرعبة تتنزل عليه وتحيط به من كل جانب.

لا أستطيع الهروب من البيت أو الاستنجاد بأحد، لذا أشعر أنّ الشيطان سينفذ وعيده وأنّ نهايتي المؤلمة قد حانت الآن، وأذكركم "ما يعطيه الشيطان لك اليوم بيد يأخذه منك غداً بألف يد"

الفصل السابع

النهاية

"مهما عظم الشر فإنّ مصيره إلى زوال، لأنّ من يحكم الكون في النهاية الإله"

قبرص ٢٠٥٥

جزيرة سيلاس ليست أجمل جزر قبرص، ولم تكن أبداً مقصداً هاماً للسياح خاصة في هذا الوقت من العام بسبب ملوحة المياه الشديدة التي لا تصلح للعوم وحرارة الطقس والرطوبة العالية، فبالتالي أصبحت مكاناً منعزلاً شديد الهدوء، لم تصل إليه آلة الحضارة لتشوه رمالها بالإسفلت وتقطع أشجارها لاستبدالها بأعمدة الكهرباء، ولم تمح غاباتها لبناء المنتجعات السياحية والفنادق على أنقاضها.

إنّ هذه الجزيرة هي ما يريده ظافر بالضبط، ليبتعد عن هذا العالم القاسي الظالم الذي تحكمه الماديات منفرداً بنفسه وقت غروب الشمس وهو يجلس على الشاطئ لا تفارقه صورة حبيبته هالة عشقه الأول والأخير التي قرر اعتزال كل شيء بعد رحيلها في لحظة صادمة بدلت نظرته للحياة وأصبح زاهداً فيها.

فظافر الآن بذقنه البيضاء الطويلة وشعره الأشعث وقميصه الطويل المتسخ ليس هو ظافر الأمس الأستاذ الجامعي المرموق الأنيق المتألق شعلة النشاط والعمل.

لقد انطفأت هذه الشعلة، بل وانطفأت حياته كلها منذ الحادثة الأليمة التي لا يستطيع محوها من ذاكرته مهما حاول، وكلما جلس على الشاطئ يتذكر تفاصيلها المرعبة، وكأنّها حدثت منذ ساعة مضت عندما أطلقت حسينة رصاصة الغدر عليه لتقتله، لكنّها لم تعلم أنّ إطلاقها هذه الرصاصة سيكون السبب في هلاكها أيضاً.

فرغم تحذيرات ظافر بأنّ الغرفة التي بها تابوت جثة الكاهن الأعظم من الممكن أن تنهار في أي وقت بأقل حركة أو أقل صوت لأنها مدفونة تحت الأرض وسقفها تحت ضغط شديد وبمجرد فتح بابها لأول مرة حدثت تخلخلات في ضغط الهواء داخلها، مما زاد الضغط على سقفها وعندما أطلقت حسينة الرصاصة أحدث دوي صوتها القوي موجة ضغط عالٍ في عامود الهواء الذي ضغط بدوره على سقف الغرفة المتهالك وانهار في نفس اللحظة عليها، ودفنت هناك بجانب الكاهن الأعظم.

لقد كادت الرصاصة أن تصيب ظافر في مقتل لأنها على مسافة قريبة منه، لكنّ هالة ألقت بجسدها أمامه لتتلقى الطلقة بدلاً منه، وصرخ ظافر في هلع: هالة... حبيبتي لماذا فعلت ذلك؟ قالت هالة وهي تنازع الموت: روحي هي فداء لك يا حبيبي.

لكنّ ظافر لم يضيّع الوقت، وحملها على كتفيه وجرى بكل قوة لإسعاف هالة.

وقال لها: لا، لن تموتي سآخذك إلى الإسعاف حالاً، فقط حافظي على وعيك وابقي معي مستيقظة.

قالت له هالة: لا عليك يا عزيزي لقد عشت أجمل أيام لي معك، فقط لا تنسَني واحرص على زيارة قبري دائماً مما أصاب ظافر بالصدمة التي جعلته لا يجد ما يرد به على هالة.

وأحس أنه في سباق مع الموت وهو يجري في السرداب بكل قوته نحو الخارج سعياً لإنعاش هالة في أسرع وقت.

وعندما اقترب من المخرج ولم يتبقّ سوى عدة أمتار نادته هالة في صوت ضعيف وقالت: ظافر.. قال لها: نعم يا عزيزتي لا تقلقي لقد وصلنا تقريباً.

قالت والدموع في عينيها: أنا أحبك. ثمّ صمتت إلى الأبد.

وعلى الرغم من أنّ الإصابة لم تكن غائرة، لكن بسبب تلوث المكان أدى ذلك إلى تلوث الجرح بسرعة، ولأنّ المسافة إلى الخارج تتطلب وقتاً طويلاً نزفت هالة كثيراً، ولم تستطع أن تصمد حتى يتم إسعافها.

وفي ليلة من الليالي بينما ظافر كان نائماً والعرق يتصبب منه أحسّ بيدٍ ناعمةٍ رقيقةٍ على جبهته، فانتبه في فزع ليجد هالة أمامه في أحلى هيئة تقول له: ماذا بك يا عزيزي لماذا أهملت هكذا في نفسك؟ لماذا لم تكمل ما بدأناه؟

قال في لهفة: هالة حبيبتي.. كيف جئتي إلى هنا هل أنت مازلت حية؟
قالت: أنا لم أتركك أبداً، أنا موجودة بجانبك دائماً، لكنّني حزينة لأنك لم تفكر في زيارتي حتى الآن. قال ظافر: الحمد لله أنك عدتي إليّ، ثم قام ليحتضنها لكنها اختفت.
استيقظ ظافر وهو على الأرض مفزوعاً ليكتشف أنه كان حلماً.
لقد شعر أنّ روح هالة معه فعلاً وكأنّها تحيط به وتراقبه، لكنّه منذ أن شارك في دفنها غادر إلى قبرص ولم يقم بزيارة قبرها منذ أكثر من شهرين، فوجد لديه حنين بالغ ورغبة ملحة للعودة إلى مصر لزيارة قبرها، ثمّ يعود مرة أخرى إلى الجزيرة، فقام بحلاقة ذقنه وقام بتصفيف شعره وارتدى ملابس جديدة بعدما حجز من على موقع الإنترنت تذكرة عودة إلى مصر.
عندما وصل ظافر إلى أرض مصر وجد أن جميع القنوات في التلفزيون الذي كان منقطعاً عنه وعن هاتفه وأي وسيلة أخرى تربطه بالعالم الخارجي، تتحدث عن إيلان المجنون الذي يهدد العالم كله بالفناء إذا لم يخضع له ويصبح تحت حكمه، إنّه الآن يحاول تحقيق حلمه في السيطرة على جميع البلاد واحدة تلو الأخرى باستخدام قوة جبارة خفية يسميها قوة انعدام الجاذبية استطاع خلالها السيطرة على بعض الدول التي لم تستطع جيوشها مهاجمة جيشه الكبير من المرتزقة الذين أغواهم بالأموال. إنّ هذه القوة الخفية قادرة على منع أي هجوم على جيشه بالطائرات أو الدبابات أو القنابل حتى لو كانت القنبلة النووية، لأنّ ببساطة قوة انعدام الجاذبية هذه

تجعل القنبلة أو القذيفة أو الرصاصة بلا تأثير، تجعلها طافية في الهواء ولا تسقط على جيوشه بمجرد دخولها مجال سيطرته.

أصيب ظافر بالصدمة مما شاهده وربط بين ما يحدث الآن وبين لعنة رامون التي اكتشفها في بيت الكاهن الأعظم، فأسرع إلى بيته حيث خبأ البرديات التي وجدها والحجر الأبيض الذي نقشت عليه اللعنة، ووجدها موجودة كما تركها لم يسرقها أحد، لكنّه تساءل: كيف وصل إيلان إلى سر هذه اللعنة والحجر المكتوبة عليه، بينما ما يزال الحجر معه في منزله في مكان سري خاص، ثمّ ألم يقرأ خبر موت إيلان هذا منذ خمس سنوات، عندما انهارت به المقبرة في دولة بيرو؟

فتح ظافر خزانته التي وضع فيها هاتفه قبل أن يغادر وفتحة ليجد سيلاً من الرسائل على بريده الإلكتروني، ووجد عدة رسائل منها تحمل شعار شركات إيلان أرسلت منذ أسبوع تقريباً، ففتحها ليقرأها، فوجد المرسل هو إيلان نفسه، كتب فيها أنّه الآن بدأ تنفيذ مخططه للسيطرة على العالم وعاجلاً أم أجلاً سيحقق ذلك ويطلب منه أن يعطيه الحجر الأبيض الذي نقشت عليه لعنة رامون مقابل أن يجعله شريكاً له في حكم العالم، وترك له في نهاية الرسالة رقم هاتفه للتواصل معه إذا فكر ووافق على العرض المقدم له، أما إذا رفض العرض سيهاجم بلده مصر بلا رحمة أو شفقة.

انتهى ظافر من قراءة الرسالة وأخذ يفكر في ماذا سيفعل حتى قرر أن يتصل بالرقم وبعد عدة ثوانٍ رد عليه صوت متعجرف.

مرحباً بالدكتور ظافر يبدو أنك فكرت في العرض الذي قدمته لك وأعجبك رائع أنك تواصلت معي في هذا الوقت، لقد كنت على وشك الإعداد لمهاجمة بلدك العظيمة مصر بعد أن تأخرت في الرد عليّ، لكنّني قررت الانتظار مراعاة لحالتك النفسية بعد وفاة دكتورة هالة بالمناسبة أرق التعازي الشخصية لك.

عندما سمع ظافر هذه الجملة الأخيرة استشاط غضباً، وكاد يغلق الهاتف في وجه هذا السفاح الذي أرسل حسينة تتآمر عليه وتقتل حبيبته هالة، لكنّه تمالك أعصابه وقرر أنّ يهدأ لينقذ بلاده والعالم من هذا المجنون النرجسي فرد عليه قائلاً في لهجة ساخرة: لقد كنت أظن أنك أيضاً توفيت منذ زمن هل أنت فعلاً إيلان أم شبحه الذي يتكلم.

- ضحك إيلان وقال: ما زلت تتملك روح الدعابة كما هو مشهور عن المصريين في أشد الأزمات يا دكتور، لا إنّه أنا إيلان بشحمه ولحمه.

لقد كان موتي في مقبرة في دولة بيرو شائعة قوية، وقد حرصت على تأكيدها حتى أستطيع إتمام مخططي في خفاء، سأحكي لك ما حدث لي في مقبرة الموت الأسود عندما انهارت الصخور عليّ وكنت على بضع خطوات من المخرج، احتضنني الروبوت الآلي المخلص إيدي وأحاطني بجسده الفولاذي

الذي حماني من الصخور الساقطة، وعلى الرغم من أنه قد تحطم لكنّه أنقذ حياتي، وأصبت فقط بكسر في الذراع وقد شفيت منه.

- قال ظافر: فهمت، لنعود إذاً لموضوعنا الأساسي، لماذا تريد الحجر الخاص بلعنة رامون وأنت الآن بالفعل معك سر اللعنة وتستخدمها للسيطرة على العالم؟

- قال إيلان: أنا لم أحصل بعد على اللعنة الكاملة، لقد كنت طوال هذه السنوات الخمس الماضية أبحث عنها على جدران الأهرامات المنتشرة في بلدان العالم، لأنّ من قام ببناء أهرامات في بلده تقليداً لأهرامات الجيزة بالتأكيد قد سمع عن اللعنة، لذلك قام ببنائها طمعاً في القوة، وبالفعل وجدت في بعض هذه الأهرامات بعضاً من سطور اللعنة مكتوبة على جدرانها، لكن ليست اللعنة كاملة.

لذلك القوة التي أمتلكها هي قوة ناقصة تستطيع فقط صنع قوى من انعدام الجاذبية للأشياء المصنوعة من المعدن وتجعلها تطفو في الهواء، مثل: القذائف، والقنابل، والدبابات، وعلى الرغم من أنّني استطعت استخدام التكنولوجيا وأطباق الأقمار الصناعية للتحكم في توجيه قوة انعدام الجاذبية إلى المكان الذي أريده وتسليطها عليه، لكن لمسافات ومساحات محددة مما سيتسبب في جعل عملية السيطرة على العالم بطيئة وأكثر صعوبة، وستأخذ مجهوداً وتعطي الوقت لباقي الدول لحشد تحالفات والبحث عن طريقة ما لمقاومتي.

أما اللعنة الأصلية الكاملة وبلا شك هي أقوى وأفضل وتجعلني أستطيع رفع كل أنواع الأشياء حتى البشر أنفسهم في الهواء وشل حركتهم مهما كانت أعدادهم وتحالفاتهم، كما حدث مع الفينيقيين والآشوريين في المعركة، ومدى ومجال تأثيرها واسع النطاق، وأستطيع هزيمة عدة جيوش في معركة واحدة.

وكما ذكرت لك في الرسالة إذا أعطيتني حجر اللعنة سأجعلك شريكاً لي وإذا رفضت سأسحقك وأسحق بلدك بلا هوادة.

- قال ظافر في برود: أنا لم أتخذ قراري بعد، ولقد اتصلت بك لفهم ما يجري أولاً، لكنّني سأفكر الآن وأرد على عرضك بالقبول أو الرفض.

- قال: إذاً غداً في مثل هذه الساعة تخبرني بقرارك وإلا سأعتبر أنك قد رفضت وأبدأ مباشرة في مهاجمة مصر، ثمّ أغلق الهاتف.

جلس ظافر على أريكته غير مصدق لما يحدث كيف تحولت هذه اللعنة إلى كابوس، لكنّه كابوس حقيقي يحدث أمامه على الأرض في جميع أنحاء العالم لا بد أن يجد حلاً ما لهذه المشكلة الكبيرة.

وأخذ يدعو الله ليهديه إلى طريقة تنقذ بلده مما سيحدث إذا رفض، وبعد ساعة جاءت في ذهنه خطة فأخذ ورقة وقلماً يكتبها ويعدل فيها حتى أحس أنّ هذا الحل الوحيد المتاح ولا مفر من المخاطرة بحياته لأجل بلده العزيزة مصر، فاتصل مرة أخرى بإيلان الذي رد عليه:

- غريب أنك قد اتخذت قرارك بسرعة خلال ساعات، لكن أعتقد أنك ذكي لذلك قررت الموافقة على عرضي فوراً.

- قال ظافر: نعم أنا موافق، لكن ما الذي يضمن لي ألّا تغدر بي بعد أن تحصل على ما تريد؟

- قال إيلان: عزيزي ليس لك خيار آخر، ولا يوجد ضمان لأقدمه لك.

- قال ظافر: إذاً فلتأتِ إليّ لنتقابل في أرض محايدة في قبرص وحدك دون أي جيش أو حماية لأطمئن أنك لن تغدر بي وقتها.

- ابتسم إيلان والتمعت عيناه: بالطبع، اتفقنا، ثمّ أغلق الهاتف.

وقال إيلان محدثاً نفسه: هذا الغبي لا يعلم أنه بإمكاني توجيه قوة انعدام الجاذبية عليه بضغطة زر واحدة، فأنا لا أحتاج جيشاً ولا حراسة لحمايتي مع وجود هذه القوة الرهيبة معي.

وفي الموعد والمكان المحدد التقى إيلان مع ظافر لأول مرة وجهاً لوجه، كان ظافر يشعر بالحنق والغضب لرؤيته لأنه من قتل هالة حبيبته.

- قال إيلان: أهلاً بك أيها العالم الكبير، لقد كنت أفضل أن نلتقي في ظروف أفضل من هذه، لكنّها ترتيبات القدر والآن أخبرني هل أحضرت ما اتفقنا عليه؟

- أخرج ظافر الحجر المنقوش عليه اللعنة من حقيبة كانت على ظهره وقال: ها هو طلبك.

- قال إيلان: يجب أن أتأكد أولاً أنك أيضاً لا تملك سلاحاً لتستخدمه ضدي، فأنت تعلم أنني لا أنوي قتلك، فقد أحتاجك لضمان عمل اللعنة كما أريد.

وأيضاً أنت الوحيد من تستطيع تفسير اللعنة المكتوبة وفك رموزها بسرعة ودقة فائقة لا تتوافر في الذكاء الصناعي البطيء الذي أستخدمه، حيث لا وقت لدي قبل اتحاد دول العالم وهجومها ضدي. وأنا أعلم أيضاً أنك تكرهني بشدة خاصة بعد موت هالة لذلك يجب أن أكون حريصاً من ناحيتك.

وضغط على زر أسقط أشعة قوة انعدام الجاذبية على ظافر فإذا كان معه سلاح معدني مثل مسدس أو سكين فإنه سيجذبه لأعلى في الهواء بقوة مثل قوة جذب المغناطيس، لكن لم يحدث شيء، فاطمأن إيلان وقال: الآن أستطيع أن أطمئن أنك لا تنوي الغدر، ويمكنني أن أقترب منك وأخذ الحجر، أقذفه لي بروية حتى لا ينكسر.

أعطى ظافر الحجر لإيلان وقال له: لقد نفذت الجزء الخاص بي في الاتفاق، تبقى الجزء الخاص بك ألا تهاجم بلدي مصر.

ضحك إيلان ضحكة شيطانية وقال: كم أنت ساذج أيها الدكتور، إنّ أول بلد سأستخدم ضدها لعنة رامون هي بلدك مصر إذا لم تعطِني تفسيرها وفك رموزها حالاً.

قطع إيلان ضحكته الشريرة عندما شاهد ظافر يحمل مسدساً ويوجهه إليه.

- صرخ إيلان: كيف ذلك لقد أسقطت عليك أشعة انعدام الجاذبية ولم يكن معك أي أسلحة؟!

- قال ظافر: لقد قمت بتغليف مسدسي الصغير بنوع خاص من البلاستيك الذي يستخدمه رواد الفضاء لمقاومة قوة انعدام الجاذبية في رحلاتهم على سطح القمر، لذا لم يتأثر بها.

قرر إيلان أن يجري مسرعاً نحو سيارته الطائرة؛ ليهرب بحوزته حجر اللعنة، لكن ظافر حذره أنه سيطلق النار عليه إذا لم يتوقف.

لم يستجب إيلان واستمر في الهرب، فأطلق ظافر رصاصة قام بتوجيهها على ساقه، فسقط واصطدم رأسه بصخرة، ففقد الوعي على الفور، وذهب إليه ظافر وتأكد أنه ما زال على قيد الحياة، وقيدّه جيداً، ثمّ اتصل بجهاز الأنتربول وبالشرطة المصرية لتأتي للقبض عليه.

لم يصدق رجال الأنتربول عندما وصلوا إلى المكان أنّ الشخص المقيد في إذلال أمامهم هو الرجل الذي يهدد العالم كله، وجعله يعيش حالة من التوتر والخوف بسبب جنون عقله وتحفظوا على جهاز التحكم في قوى اللا جاذبية الذي كان بحوزته هو فقط، لأنّ إيلان لم يكن يثق في أحد غير نفسه ليعطيه نسخة منه.

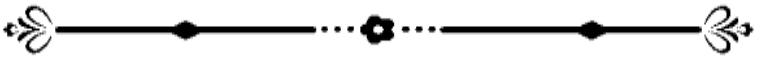

وبالتالي فقد مصدر تفوق جيوشه التي فرّ معظم أفرادها بعد علمهم بخبر القبض عليه، وبعد العرض الذي أعلنته جميع حكومات بلادهم أنّ من يستسلم منهم فسيتم منحه العفو.

ولأنهم من المرتزقة كان السبب الوحيد لانضمامهم لجيش إيلان هو المال، لذا لم يكن هناك أي انتماء أو مبدأ ليقاتلوا من أجله ومن تبقى منهم تم القبض عليه أو قتله بعد أن تحالفت الدول وأرسلت جيوشها للقضاء عليهم بعد أن أصبحوا لقمة سائغة بدون حماية من قوى انعدام الجاذبية، وتم تأميم جميع شركات إيلان وفروعها في جميع أنحاء العالم لصالح حكومات الدول الموجودة بها، وانقشع تماماً هذا الكابوس السيئ.

في مقر الأمم المتحدة تمت إقامة حفل تكريم ضخم حضره ممثلو جميع الدول بلا استثناء على شرف العالم المصري الذي أنقذ العالم ورفع اسم بلاده مصر عالياً، الذي دخل القاعة وسط تصفيق حار استمر حتى صعوده المنصة لانتظار خطابه الكبير خطاب النصر.

وقف ظافر على المنصة يتأمل الحضور في هدوء، ثمّ قال: أود أن أعتذر لكم، فأنا لم آتِ إلى هنا لإلقاء خطاب طويل مفتخراً بما قمت به وأنجزته لعودة السلام إلى العالم مرة أخرى.

لقد جئت هنا خصيصاً لأقول جملة واحدة فقط أمام جميع ممثلي العالم كشهود عليها، وليعلموا أنني لست البطل الحقيقي، بل هناك شخص آخر يرجع له كل الفضل في هذا النصر الكبير، ثمّ نظر إلى الأعلى وقال بعينين دامعتين: أريد أن أهدي كل ما أنا فيه وهذا التكريم الكبير إلى روح حبيبتي هالة.

تمت

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع